مآخذ النحاس الصرفية

على القراء جمعاً ودراسة

وكتور

عبد اللطيف محمد محمد داود

الأستاذ المساعد بقسم اللغويات

بكلية اللغة العربية بإيتاى البارود

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رَبِّ العالمين بيده تصريف الشئون ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ والصلاة والسلام الأتمان الأكملان عَلَى مَنْ رفع الله رتبه ومَيَّز عن سائر الخلق حالته سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله – صلى الله وسلم وبارك عليه – وعلى آله وأصحابه المشتغلين بسنته بلا تنازع ، وأنصاره المنصرفين لإعلاء كلمة الله من غير وقف ولا بدل ما أيقن ذو تمييز بأنَّ لشأنهم التكبير ولشانئيهم التصغير وما علم ذو إدراك بأنهم جمع السلامة ومخالفوهم جموع التكسير .

وبَعْدُ

فإنَّ علم الصرف رفيع المكانة سَنِيُّ المنزلة لا يستغنى عنه دارس اللغة العربية ولا يثقف بدونه المشغوف بآدابها ، لأَنَّهُ يقفه على كنه الكلمة مفردة وحقيقتها مزيدة ومجردة ، ويَمُدُّهُ بزادٍ من المعارف موفور ويقيه العثار فى المنظوم والمنثور ، إذْ لا فصاحة فى الكلام إلاَّ بسلامة كلماته التى يحاك منها نسيجه وتزدهر بمحاسنها حلته ولقد أدرك علماء العربية ما لهذا الفنِّ من خطر حينما وجدوا اللسان العربيّ أخذ يحيد عن جادة القواعد وانتشر فساد السليقة ، ولم يلاحظ هذا على الأساليب فقط بل سرى اللحن والفساد والتحريف إلى المفردات التى تتكون منها تراكيب الجملة ، والكلمة فى الجملة كاللبنة فى البناء ولابُدَّ أن يقام البناء على أساس سليم .

وقد وَجَّهَ الله عَزَّ وجَلَّ لحفظ كتابه الخاتم إلى الناس كافة مَنْ يسهر على حفظه وصيانته من عبث العابثين وجهل الجاهلين يتضح ذلك من خلال الدَّأَبِ المبكر الذي أبداه علماء المسلمين تجاه التقعيد للغة العربية في مرحلة مبكرة وقبل أنْ يشيع الخطأ في لغة القرآن الكريم مِمَّا يؤكد أن الله تعالى هو

الذى وجههم تلك الوجهة وأعانهم على الوصول إلى أفضل السبل وأيسرها لحفظ كتابه العظيم وصدق عَزَّ مَنْ قال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) .

ومن علماء العربية الكِبَّار أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء المؤسس الثاني لمدرسة الكوفة في النحو والصرف ، ثم أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المراديّ المصريّ الملقب بالنحاس الذى تتلمذ على علماء البصرة والكوفة لكنه لم يكن متعصباً لأحد الفريقين ، بل كان يدعم نظره في الآراء التى يعرضها ثم يرجح الرأي الذي يرتضيه .

وقد رأيت أبا جعفر النحاس يعتمد في تأليف كتابه (إعراب القرآن) على (معانى القرآن) للفراء فهو أحد المصادر المهمة التى ركن إليها النحاس فى تأليف كتابه ، وقد لزمه النحاس من أول كتابه إلى نهايته فلا تكاد آية من الكتاب العزيز التى تناولها النحاس بالشرح والإعراب تخلو من ذكر رأي للفراء فى إعراب آية أو توجيه نحويّ أو صرفيّ أو توجيه قراءة أو بيان معنى ، إذ كان (معانى القرآن) بين يدى النحاس يتصفحه (٢) وَيَنْهَلُ منه وَيَعُلُّ ، وكان النحاس يشير إليه باسم المعانى (٣) وكان النحاس – رحمه الله – يُجِلُّ الفراء ويقدره حق قدره ويراه من النحويين الحُذَّاقِ الموثوق بعلمهم والدليل على ذلك قول النحاس : " ... سمع من العرب فى جمع دُخَان دَوَاخِنّ ، وزعم القتبىُّ أنه لم يَأْتِ على هذا إلا دُخَانٌ وعُثَانٌ ، قال

---

(١) سورة الحجر من الآية رقم ٩ .

(٢) انظر : إعراب القرآن للنحاس تح د / زهير غازى زاهد ١١٣/٢، ٢٦٣/٣ ، ٢٨٨ ، ٤٢٩/٤ طبع عالم الكتب ببيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م .

(٣) انظر : إعراب القرآن ٤٢٩/٤ ، ٢٣٣/٥ .

أبو جعفر : وهذا القول ليس بشيءٍ عند النحويين الحُذَّاقِ وإنما دواخِنُ جمع داخنةٍ وهذا قول الفراء نَصًّا (١) وكل مَنْ يوثق بعلمه ، وحكى الفراء : دخنت النار فهى داخنة إذا أتت بالدخان (٢) " أهـ .

ومع ثقة النحاس بعلم الفراء واعتباره من النحويين الحذاق المهرة بالعربية ، إلاَّ أنَّ النحاس لا يقدس رأى الفراء مهما علت منزلته وسمت مكانته ، فلم يكن النحاس يلازم الفراء فى كتابه (معانى القرآن) ملازمة الرضا والاطمئنان ، بل كان ينقل منه ويرد كثيرًا مِمَّا ينقله وغالب نقول النحاس من (معانى القرآن) للفراء بالمعنى ، وقد ينقل منه بالنص إِلاَّ أنَّ هذا قليل .

هذا وقد ألفيت النحاس فى كتابه (إعراب القرآن) يتعقب الفراء فى كتابه (معانى القرآن) فى مسائل صرفية (٣) ذات بال ، اخترت منها أربع مسائل جعلتها موضعاً لهذا البحث وهى :

المسألة الأولى : الإمالة فى قول الله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(٤) .

المسألة الثانية : إبدال الدال من التاء فى قوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ (٥) .

---

(١) لم يتيسر لى العثور على نص الفراء هذا فى كتابه (معانى القرآن) على الرغم من كثرة البحث والتحرى .

(٢) إعراب القرآن ١٢٧/٤ .

(٣) انظر : إعراب القرآن ٣٥٤/١ ، ١٣١/٢ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٨٩ ، ٢٣٠ ، ٢٥٤ ، ٢٠/٣ ، ٢١ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٦٣ ، ١٦٩ ، ١٨٢ ، ٢٤٣ ، ١٠٥/٤ .

(٤) سورة البقرة من الآية رقم ١٥٦ .

(٥) سورة آل عمران من الآية رقم ٤٩ .

المسألة الثالثة : جَوَّز الفراء إدغام الياء فى الياء فى مضارع حَيَّ في قـــول الله تعالى : ﴿ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾ (١) وكـــذا فـــى مضارع أَحْيَا .

المسألة الرابعة : جواز حذف تاء التأنيث للإضافة من مصدر غَلَبَ فى قول الله تعالى : ﴿ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ (٢) .

وهذه المسائل الأربع مفرقة في أربعة أبواب صرفية ، وهى : الإمالة وإبدال حرف صحيح من غيره ، والإدغام ، والمصدر .

ويجمع هذه المسائل أنها تتعلق ببنية الكلمة ، كما أنَّها وثيقـــة الصـــلة بكلمات القرآن المجيد من جهة مبانيه والخطأ الصرفيّ فيها أبشع وأشنع من الخطأ فى غيرها من الكلام .

وقد اخترت هذه المسائل موضوعًا لهذا البحث لأسباب هى :

١- يرى الفراء أنَّ العرب لم تكسر النون مِنْ (إِنَّا) إلاَّ فى قول الله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ (٣) مع اللام فى التوجع خاصةً ، فإذا لم يقولوا " لِلَّهِ " فتحوا فقالوا : إَنَّا لزيد محبون ، وإنَّما كسرت النون فى ﴿ إِنَّـــا لِلَّـــهِ ﴾ لأنَّها استعملت فصار كالحرف الواحد لكثرة استعمالهم إِيَّاه ، كما قالوا : الحَمْدُ لِلَّهِ (٤) .

وقول الفـــراء فيه تســـامح فى العبارة لذلك آخذه الزجـــاج ثم النحاس

---

(١) سورة الأنفال من الآية رقم ٤٢ .

(٢) سورة الروم من الآية رقم ٣ .

(٣) سورة البقرة من الآية رقم ١٥٦ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء تح أ / محمد على النجار والأســـتاذ / يوســـف نجـــاتي ٩٤/١، ٩٥ ، طبع عالم الكتب ببيروت الطبعة الثانية ١٩٨٠م .

وعقَّبا عليه وأرى أنَّ كلام الفراء والنحاس في شرح الإمالة في الآية الكريمة يحتاج إلى ضبط وتحقيق .

٢- في إبدال الدال من التاء فى قول الله تعالى : ﴿ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ (١) رَأْيُ للفراء هو أنْ أصل الفعل تَدَّخِرُونَ تَذْتَخِرُونَ من ذَخَرْتُ فثقل على اللسان الجمع بين الذال والتاء فأدغموا التاء الثانية فى الذال فصارت ذَالاً مشددة (تَذَّخِرُونَ) فكرهوا أنْ تصير التاء ذَالاً فلا يعرف معنى الافتعال من ذلك ، فجاءوا بحرف بين التاء والذال يكون عدلاً بينهما فى المقاربة فكان ذلك الحرف الدال المهملة ، فجعلوه مكان التاء ومكان الذَّال ، وشددوا الدَّالا لأنها مكان حرفين ، التاء والذال (٢).

وَرَأْيُ الفراء هذا تعقبه الزجاج والنحاس ، وأيضا نصوص الفراء فى إبدال الدال من التاء فى الافتعال وما تفرع منه إذا كانت الفاء ذالاً أو زاياً فيها نظر ، لهذا آثرت تحقيق هذه المسألة لأنَّ شواهد الفراء فيها من آى الذكر الحكيم .

٣- جَوَّزَ الفراء إدغام الياء فى الياء فى مضارع حَيَّ من قول الله تعالى : ﴿ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾ (٣) فتقول : هو يَحَيُّ – بياء واحدة مشددة مضمومة – وكذلك جَوَّز الفراء إدغام الياء فى الياء فى مضارع أحيا فى حالتى الرفع والنصب فتقول : هو يُحِيُّ ويُمِيْتُ ، وأنْ يُحِيَّ المَوْتَى، وما جَوَّزَهُ الفراء آخذه عليه النحاس وعابه ، لأنَّ ما جَوَّزه الفراء تحكم منه لا دليل له عليه ، لذلك حققت هذه المسألة قدر طاقتى .

---

(١) سورة آل عمران من الآية رقم ٤٩ .

(٢) انظر : معانى القرآن ١/٢١٥ ، ٢١٦ .

(٣) سورة الأنفال من الآية رقم ٤٢ .

٤- يرى الفراء أنَّ المصدر من غَلَب غَلَبَةً بالتاء وهذا كلام العرب ويجوز حذف هذه التاء للإضافة مثل قول الله تعالى : ﴿ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ (١) كما حذفت تاء التأنيث للإضافة فى قول الله تعالى : ﴿ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ﴾ (٢) ، وقد غلط النحاس قول الفراء : إنَّ مصدر غَلَبَ غَلَبَةً بالتاء ، بل مصدر غَلَبَ فيْ رَأْي النحاس غَلَبٌ من غير تاء ، لأنَّ تاء التأنيث إنَّما يؤتى بها للتعويض عَمَّا حذف من الكلمة ، والفعل غَلَبَ ليس بمعتل ولا حذف منه شئ ، أمَّا الفعل أقام فالمصدر منه إقامة بالتاء ؛ زيد تاء التأنيث للتعويض عَمَّا حذف من الكلمة ، ويجوز حذف هذه التاء للإضافة ، كقول الله تعالى : ﴿ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ﴾ (٣) وقد ظهر لِيْ أنَّ رَأْيَ الفراء والنحاس في مصدر الفعل غلب يحتاج إلى تحقيق وإنعام نظر ، وليس من هدَف هذا البحث تتبع عثرات الفراء الصرفية ومآخذ النحاس عليه بل هدفى بيان الوجه الصائب عندى فى تلك المسائل الصرفية ذات الصلة الوثيقة بضبط كلمات القرآن الكريم وحجتى في ذلك قول أبيْ عثمان المازنيِّ – رحمه الله – " إذا قال العالم المتقدم قولاً فسبيل مَنْ بعده أنْ يحكيه ، وإنْ رَأَىٰ فيه خللا أبان عنه وَدَلَّ على الصواب ، ويكون الناظر فى ذلك مُخيَّرًا فى اعتقاد أيِّ المذهبين بَانَ له فيه الحَقُّ (٤) " .

---

(١) سورة الروم من الآية رقم ٣ .

(٢) سورة النور من الآية رقم ٣٧ .

(٣) سورة النور من الآية رقم ٣٧ .

(٤) انظر : اللامات لأبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجيّ تح / د مازن المبارك ص ١٩ طبع الهاشمية بدمشق ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

وقد رتبت هذه المسائل الأربع بحسب ترتيبها المصحفيّ وبحسب ورودها فى (إعراب القرآن) و (معانى القرآن) أيضاً .

وقد اخترت أنْ يكون هذا البحث فى مقدمة وفصل واحد وخاتمة .

المقدمة : ذكرت فيها أهم الأسباب الدافعة لِيْ لكتابة هذا البحث .

الفصل الأوحد : وقد ذكرت فيه أربع مسائل صرفية ناقش فيها النحاس الفراء .

الخاتمة : ذكرت فيها أهم نتائج البحث .

وقد نسجت خطة هذا البحث على منوال الخطوات التالية :-

١- وضعت عنواناً للمسألة موضوع مناقشة النحاس للفراء بحيث يتسق هذا العنوان مع الآية القرآنية محل المناقشة .

٢- مهدت للمسألة الصرفية موضوع المناقشة بتمهيد موجز مكتفياً بالإحالة على المراجع التى وردت فيها هذه المسألة .

٣- نقلت نص النحاس فى المسألة الصرفية ثم شرحت النص .

٤- بَيَّنْتُ موقف النحاس من الآراء التى ذكرها في نصه وَلاَسِيَّمَا موقفه من الفراء .

٥- نقلت رَأْيَ الفراء في كل مسألة بنص كلامه من (معانى القرآن) ثم شرحت هذا النص .

٦- ذكرت نص مناقشة النحاس للفراء موضحاً مغزاها ومرماها .

٧- ذكرت رَأْيِيْ فيْ مناقشة النحاس للفراء فى بعض المسائل .

٨- ذَيَّلْتُ أغلب صفحات البحث بحواش فَسَّرْتُ فيها بعض الكلمات المحتاجة إلى تفسير ، وشرحت جُلَّ الأبيات المستشهد بها ونسبتها إلى

بحورها وقائليها وذكرت المصادر التى رجعت إليها ، وكنت فى كل مسألة أرجع إلى أمهات كتب الصرف واللغة والتفسير والقراءات بغية الوصول إلى الحكم الصحيح عند الاختيار والترجيح ، ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم الثمار التى قطفتها من البحث .

ثم ذَيَّلْتُ البحث بفهرس بأسماء مصادر البحث ومراجعه ثم بفهرس بموضوعات البحث ، فإنْ أكن قد وفقت فيما صنعت فبالله التوفيق ، وإنْ كانت الأخرى فحسبي أنَّنِيْ لم آل جهدًا ولم أدخر وُسْعًا في أن أضيف إلى المكتبة العربية جديدًا لم يطرق على الصورة التى أوردتها حتى ظهر البحث – بفضل الله – جديد الملامح والسمات ، وأملي في الحنان والمَنَّان ذي الطول والإنعام كبير أنْ يسهم هذا البحث في خدمة الدراسة القرآنية والصرفية وفي الختام أرفع أكف الضراعة إلى الله العلىّ القدير أنْ ينفع به وأنْ يدخر ليْ عنده أجره في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلاَّ مَنْ أتى الله بقلب سليم إنه سميع قريب مجيب .

هذا ولا أنفى أنْ يكون في البحث هفوات وسقطات وزلات فالجواد يكبو ، والصارم قد ينبو ، والنار قد تخبو ، والإنسان محل النقص والسهو والنسيان ، ولا يسلم من الخطأ إلاَّ كلام الله عَزَّ وجَلَّ وحديث نبيه المعصوم سيدنا محمد بن عبد الله – ﷺ – ولهذا قال الله عَزَّ شأنه تنبيهاً على ذلك وتذكيراً بقوله جل وعلا : ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلَـفًا كَثِيرًا ﴾ (١) .

الباحث

دكتور / عبد اللطيف محمد محمد داود

---

(١) سورة النساء الآية رقم ٨٢ .

المسألة الأولى

الإمالة في قول الله ﷻ

﴿ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

الإمالة في اللغة : مصدر أَمَلْتُ الشيء أُمِيلُهُ إِمَالَةً إذا عدلت به إلى غير الجهة التي هو فيها ، والميل الانحراف عن القصد ، يقال منه مال الشَيءُ ومال الحاكم إذا عدل عن الاستواء ، وجاء مُعَدًّى بالتضعيف أَيْضًا مَيَّلَهُ والمصدر التمييل [١] والإمالة في اصطلاح علماء التصريف : أَنْ ينحى بالفتحة نحو الكسرة ، أَيْ تمال الفتحة جهة الكسرة وناحيتها .

وهذا التعريف يشمل أنواع الإمالة الثلاثة التى هى : إمالة فتحة قبل الألف إلى الكسرة فيميل الألف إلى جهة الياء حتما ، وإلى إمالة فتحة قبل الهاء إلى الكسرة نحو رَحْمَة ، وإمالة فتحة قبل الراء إلى الكسرة نحو : الكِبَر وعِبَر ، فإمالة الفتحة نحو الكسرة شاملة للأنواع الثلاثة ، ويلزم من إمالة الفتحة التى قبل الألف نحو الكسرة إمالة الألف نحو الياء ، لأَنَّ الألف المحض لا يكون إِلاَّ بعد الفتح المحض ، ويميل الألف إلى الياء بقدر إمالة الفتحة نحو الكسرة [٢] .

*** *** ***

الإمالة ليست عند جميع العرب بل هي لهجة بنى تميم وأسد وقيس

---

(١) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ٥٣/٩ ، ٥٤ ، والوافي للشيخ / أحمد إبراهيم عمارة ص١٤٤ طبع المحمدية الطبعة الرابعة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م

(٢) انظر : شرح شافية ابن الحاجب للعلامة المحقق / رضي الدين الاستراباذي بتحقيق الأساتذة / محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد ٤/٣ طبع حجازى بالقاهرة ، والوافي للشيخ / أحمد إبراهيم عمارة ص ١٤٤ .

وعامة أهل نجد وأهل الحجاز لا يميلون إلاَّ في مواضع قليلة ، وَأَشَدُّهُمْ حرصا على الإمالة بنو تميم ، وإنَّمَا تسمى إمالة إذا بالغت في إمالة الفتحة نحو الكسرة ، وما لم تبالغ فيه يسمى " بين اللفظين " وَ" تَرْقِيقًا " والترقيق إنما يكون في الفتحة التي قبل الألف فقط (١) .

*** *** ***

الغرض من الإمالة هو تناسب الأصوات وتناسقها بتقارب نغماتها وتحسين جرسها ، وعدم تنافرها من عُلُوٍّ يليه تَسَفُّلٌ ، وَمِنْ تَسَفُّلٍ يليه ارتفاع في الكلمة أو الكلام ، بيان ذلك أَنَّكَ إذا قلتَ : عَابِدٌ كان لفظك بالفتحة والألف تَصَعُّدًا واستعلاءً ، وتجد في الباء التى بعدها اِنْحِدَارًا وَتَسَفُّلاً لكونها مكسورة ، وهذا فيه تنافر في الصوتين المتصلين ، فإذا أملت الفتحة نحو الكسرة ، فقد أوجدت شيئًا من الكسرة ، وبذلك تقرب الألف من الياء فتحصل المناسبة بينها وبين الباء المكسورة ، وهكذا كُلَّمَا رأيت موضعا من مواضع الإمالة فاعلم أنَّ الغرض هو تناسب الأصوات وانسجامها (٢) .

*** *** ***

الإمالة لا تجب إذا وجد سببها دون معارض ، بل هى عند ذلك مستعملة عند قوم غير مستعملة عند قوم ، قال ابن مالك :

---

(١) انظر : شرح شافية ابن الحاجب للعلامة / رضي الدين الاستراباذى٣/٤ ، والنشر في القراءات العشر لابن الجزريّ ت أ / على محمد الضباع ٢/٣٠ طبع دار الكتب العلمية ببيروت .

(٢) انظر : الوافي في التصغير والنسب والوقف والإمالة وهمزة الوصل أ د / أحمد إبراهيم عمارة ص١٤٥ طبع دار الطباعة المحمدية بالقاهرة الطبعة الرابعة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م ، وحاشية الصبان ٤/٢٢٠ .

وَلَيْسَ حَتْمًا أَنْ يُمَالَ ذُو السَّبَبِ ∴ بَلْ هُوَ حُكْمٌ صَحَّ عَنْ بَعْضِ العَرَبِ[١]

قال سيبويه : " اعلم أَنَّهُ ليس كُلُّ مَنْ أَمَالَ الألفات وافق غيره من العرب مِمَّنْ يُمِيْلُ ، ولكنه قد يخالِفُ كُلُّ واحد من الفريقين صَاحِبَهُ ، فينصبُ بَعْضٌ مَا يُمِيلُ صَاحِبَهُ وَيُمِيلُ بَعْضٌ مَا يَنْصِبُ صَاحِبَهُ ، وكذلك مَنْ كان النصب من لغته لا يوافق غيره مِمَّنْ يَنْصِبُ ، ولَكِنَّ أَمْرَهُ وَأَمْرَ صَاحِبَهُ كأمر الأَوَّلِيْنَ في الكسر ، فإذا رَأَيْتَ عَرَبِيًّا كَذَلِكَ فلا تَرَيَنَّهُ خَلَّطَ في لغته ، ولكنَّ هذا مِنْ أَمْرِهِمْ [٢] " اهـ .

قال السيرافي – في شرح هذا الموضع – : " يريد أَنَّ أمر العرب في الإمالة لا يطرد على قياس لا يخالفونه ، وكذلك ترك الإمالة لا يطرد[٣] " اهـ .

● هذا ويرى الرضي أَنَّ أسباب الإمالة مُجَوِّزَةٌ لها عند مَنْ هى في لغته قال : " اِعْلَمْ أَنَّ أسباب الإمالة ليست بموجبة لها بل هى المجوزة لها عند مَنْ هى في لغته وكل موضع يحصل فيه سبب الإمالة جاز لك الفَتْحُ [٤] " اهـ .

أيْ يجوز عدم إمالته ، لأَنَّهُ الأصل فيصار إليه لأدنى سبب [٥] .

ونقل ابن الجزريّ عن أئمته ما يفهم منه جواز الإمالة [٦] .

---

(١) انظر : شرح الكافية الشافية لابن مالك ١٩٧٤/٤ .

(٢) الكتاب ١٢٥/٤ ت / هارون .

(٣) ذيل الكتاب ١٢٥/٤ ت / هارون .

(٤) شرح الشافية للرضي ٥/٣ .

(٥) انظر : منهج السالك إلى ألفية ابن مالك للأشموني ٢٢٩/٤ .

(٦) انظر : النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٢/٢ .

ويرى أحد العلماء المعاصرين : أَنَّ الإمالة واجبة عنـــد مَـــنْ مذهبـــه الإمالة ولا يستطيع أَنْ يتخلى عنها على كل حَالٍ (١)

*** *** ***

الإمالة من خواص الأفعال والأسماء المتمكنة ، فلذلك لا تطرد إمالـــة غير المتمكن نحو : إذا ، وما ، ولا ، إلاَّ ها (للغائبـــة) و(نـــا) للمـــتكلم المعظم نفسه أو معه غيره خاصة ، فإنهم طـــردوا الإمالـــة فيهمـــا لكثـــرة استعمالهما إذا كان قبلهما كسرة أو ياء ، فقالوا : مَرَّ بِنَاوَبِهَا ، وَنَظَرَ إِلَيْنَـــا ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا بإمالة فتحة (نَا) و(ها) نحو الكسرة فتميل الألف نحو الياء ، لوقوع الألف مسبوقة بالكسرة مفصولة بحرف في الكلمتين مَـــرَّ بِنَاوَبِهَـــا ، ووقوع الألف مسبوقة بالياء مفصولة بحرف في الكلمتين وَنَظَرَ إِلَيْنَا وَنَظَـــرَ إِلَيْهَا (٢) .

قال ابن مالك :

وَلاَ تُمِلْ مَا لَمْ يَنَلْ تَمكُّنَا ∴ دُوْنَ سَمَاعٍ غَيْرَ (هَا) وَغَيْرَ (نَا)

نَحْوُ (بِهَا) (فِيْهَا) وَ(قَدْ مَرَّ بِهَا) ∴ وَ(عُجْ عَلَيْنَا) وَ(إِذْنُ مِنْ مَجْمَعِنَا)(٣)

وقال في شرح البيتين : " إِنَّ الإمالةَ لم تطرد فيما لا تمكن له إِلاَّ فـــي أَلِفَيْ (نَا) و(هَا) نحو: مَرَّ بِنَا، وَنَظَرَ إِلَيْنَا وَمَرَّ بِهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا، ويريد أَنْ يَضْرِبَهَا(٤) " اهـــ .

---

(١) انظر : في الدراسات القرآنية واللغوية الإمالة في القراءات واللهجـــات العربيـــة د / عبد الفتاح إسماعيل شلبى ص٩٧ – ١٠٣ طبع دار نهضة مصر بالقاهرة .

(٢) انظر : التصريح بمضمون التوضيح للشيخ / خالد الأزهري ٢/٣٥١ .

(٣) انظر : شرح الكافية الشافية لابن مالك ٤/١٩٦٩ .

(٤) شرح الكافية الشافية لابن مالك ٤/١٩٧٥ .

أسباب الإمالة المجوز لها اثنا عشر سَبَبًا[١] ترجع إلى شيئين :

أحدهما : الكسرة ، والثاني : الياء ، وسأكتفى بذكر سببين من هذه الأسباب لأنهما اللذان يساعدان على تفهم الإمالة في قوله ﷻ: ﴿ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ وهو موضوع مسألتنا :

السبب الأول : الكسرة قبل الألف

الحرف المتحرك بالكسرة قبل الألف لا يجوز أنْ يكون قبلها مباشرة ، لأنَّ ما قبل الألف لابُدَّ أنْ يكون مفتوحًا ، وعلى هذا لابُدَّ أنْ تكون الكسرة التى قبل الألف بينها وبين الألف حرف أو أكثر ، والكسرة التى هى سبب الإمالة إمَّا أنْ يكون بينها وبين الألف حرف واحد أو حرفان أولهما ساكن أو حرفان متحركان ، وإمَّا أنْ تكون الكسرة المتقدمة على الألف من كلمة أخرى غير كلمة الألف .

والكلام على الإمالة في هذه الصور يحتاج إلى بسط فأقول :

أ – الحرف المتحرك بالكسرة قبل الألف إمَّا أنْ يكون بينها وبين الألف حرف واحد مفتوح نحو : عِمَاد وجِبَال فكسرة عين (عِمَاد) وجيم (جِبَال) هِيَ التي دعت إلى إمالة فتحة " الميم " في (عِمَاد) والباء في (جِبَال) نحو الكسرة فتميل الألف جهة الياء ؛ لأنَّ الكسرة المتقدمة على الألف فيها تسفل بالكسرة ثم تصعد[٢] إلى الألف ، فإذا أَمَلْتَ الألف

---

(١) انظر : النشر في القراءات العشر لابن الجزريّ ٣٢/٢ ، ويرى ابن هشام الأنصاريّ في التوضيح ٣٥٤/٤ أنَّ أسباب الإمالة ثمانية ، ويرى ابن يعيش أنَّ أسبابها ستة . انظر ابن يعيش ٥٥/٩ ، ويرى الرضيّ في شرحه للشافية (٣ / ٤) أنَّ أسباب الإمالة خمسة .

(٢) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ٥٥/٩ ، ٥٦

للكسرة التى قبلها فقد قربت منها وحصل بالإمالة التناسب بين الأصوات .

قال سيبويه : " إذا كان بين أول حرفٍ من الكلمة وبين الألف حرفٌ متحركٌ والأوّلُ مكسورٌ نحو (عِمَادٍ) أَمَلْتَ الألف ، لأنه لا يتفاوت ما بينهُمَا بحرف ، ألا تراهم قالوا : صَبَقْتُ ، فجعلوها صَادًا لمكان القاف ، كما قالوا : صُقْتُ [١] "اهـ

ب- الكسرة التى سبب الإمالة :

إمَّا أنْ يكون بين هذه الكسرة والألف ، حرفان الأول منها ساكن نحو : شِمْلالٌ[٢] وسِرْبَالٌ[٣] ، وسِرْدَاحٌ [٤] ، فَإِنَّكَ تميل الفتحة نحو الكسرة ، فتميل الألف جهة الياء ، وهذا في شِمْلال وسِرْبَال وسِرْدَاح فصلت بين الكسرة والألف بحرفين أولهما ساكن ، والحرف الساكن كالميت المعدوم فيكون الفصل به كلا فَصْلٍ ، لأَنَّهُ ليس بحاجز قَوِيٍّ فصار كَأَنَّكَ قلت : شِمَال ، وسِبَال ، وسِدَاح ، ومثله : هُوَ مِنًا وَ(إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ [٥]) الإمالة فيه جَيِّدَةٌ [٦] .

---

(١) الكتاب ١١٧/٤ تح / هارون .

(٢) شِمْلال : بالشين المعجمة هى الناقة الخفيفة السريعة . انظر : لسان العرب مادة (ش م ل) ٢٣٣٣/٣ .

(٣) السِرْبَالُ : القميصُ والدِّرْعُ ، وقيل كل ما لُبِسَ فهو سِرْبَالٌ . انظر : لسان العرب مادة (س ر ب ل) ١٩٨٣/٣ .

(٤) سِرْدَاحُ : هى الناقة الطويلة وقيل الكثيرة اللحم . انظر : لسان العرب مادة (س ر د ح) ١٩٨٨/٣ طبع دار المعارف سنة ١٩٧٩م .

(٥) سورة البقرة من الآية رقم ١٥٦ .

(٦) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ٥٦/٩ ، ٥٧ ، وشرح الشافية للرضيّ ٦/٣ .

قال سيبويه : " ... وَكَذَلِكَ إِنْ كان بينه وبين الألف حرفـــان ، الأوَّلُ سَاكِنٌ لأَنَّ الساكن ليس بحاجزٍ قَوِيٍّ ، وإنما يَرْفَعُ لسانه عن الحرف المتحرك رَفْعَةً وَاحِدةً ، كما رفعه في الأوَّلِ ، فلم يتفاوت لهذا كما لم يتفاوت الحرفان حيث قلت : صَوِيْقٌ وذلك قولهم : سِرْبَالٌ وَشِمْلالٌ ، وَعِمَادٌ وكِلابٌ ، وجميع هذا لا يميله أهل الحجاز[١] " اهـ .

ج- الكسرة التى هى سبب الإمالة :

إِمَّا أَنْ يكون بين هذه الكسرة والألف حرفان متحركان نحـــو قولـــك : أَكَلْتُ عِنَبًا لم تَسُغِ الإمالة لتباعد الكسرة من الألـــف ، وأَمَّـــا قـــول بعـــض العرب : يُرِيْدُ أَنْ يَنْزِعَهَا وَأَنْ يَضرِبَهَا ، بإمالة الألف للكسرة ، مع أَنَّ بين الكسرة والألف حرفان متحركان (العين والهاء ، والباء والهاء) فهذا قليل ، والذى سَوَّغه أَنَّ الهاء خفية فكانت كالمعدومة فصار اللفظ كأنه : يريـــد أَنْ يَنْزِعَا ، وأَنْ يَضْرِبَا [٢] فأمالوا الألف للكسرة ، كما أمالوها فـــي عِمَـــاد ، فلذلك لا تمال في نحو : لَمْ يَعْلَمَا لعدم الكسرة [٣] .

قال سيبويه : " ... قال هؤلاء : رَأَيْتُ عِنَبًا ، وهُوَ عِنْدَنَا ، فلم يميلـــوا لأَنَّهُ وقع بين الكسرة والألف حاجزان قَوِيَّان ، ولم يكن الذى قبل الألف هَاءً فتصير كَأَنَّهَا لَمْ تُذْكَرْ [٤] " .

وقال : " هذا باب من إمالة الألف يميلهـــا فيـــه نـــاس مـــن العـــرب كثير وذلك قولك : يريدُ أَنْ يَضرِبَهَا ، يُرِيْدُ أَنْ يَنْزِعَهَـــا لأَنَّ الهـــاء خفيَّـــةٌ

---

(١) الكتاب ١١٧/٤ ، ١١٨ تح / هارون .
(٢) انظر : شرح الشافية للرضي ٦/٣ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٥٧/٩ .
(٣) انظر : شرح الشافية للرضيّ ٦/٣ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٥٧/٩ .
(٤) الكتاب ١٢٥/٤ ت / هارون .

والحرف الذى قبل الحرف الذي يليه مكسور ، فَكَأَنَّهُ قال : يَرِيْدَ أَنْ يَضْرِبَا [١] " اهـ .

د- الكسرة – التى هى سبب إمالة الألف –

إِنْ كانت هذه الكسرة المتقدمة على الألف من كلمة أخرى غير كلمة الألف نُظِرَ ؛ فَإِنْ كانت إحدى الكلمتين غير مستقلة أو كلتاهما ، كانت الإمالة أحسن منها إذا كانتا مستقلتين ، فالإمالة في نحو : بِنَا بُؤْسَى ، ومِنَّا بحرف الجر مع " نا " أحسن منها في : لِزَيْدٍ مَالٍ ، وبِعَبْدِ اللهِ ، والإمالة في بِعَبْدِ اللهِ أكثر من إمالة نحو : لِزَيْدٍ مَالٍ لكثرة لفظ الله في كلامهم [٢].

وإذا كان سبب الإمالة ضَعِيْفًا – لكون الكسرة بعيدة كما في نحو : أَنْ يَنْزِعَهَا أو في كلمة أخرى نحو:مِنَّا وإِنَّا ومِنْهَا– وكانت الألف موقوفًا عليها كان إمالتها أحسن منها إذا كانت موصولة بما بَعْدَهَا ، لهذا كان ناس ممَّنْ يميل نحو : أَنْ يَضْرِبَهَا ومِنَّا وبِنَا وإِنَّا ومِنْهَا إذا وصلوها لم يميلوها نحو : أَنْ يَضرِبَهَا زَيْدٌ ، ومِنَّا ذَلك [٣] .

قال سيبويه : " اعلم أَنَّ نَاسًا مِمَّنْ يُمِيْلُ في يَضرِبَهَا ومِنَّا ومِنْهَا وبِنَا وأَشباه هذا مِمَّا فيه علامة الإضمار ، إذا وصلوا نصبوها فقالوا : نريد أَنْ يَضْرِبَا زَيْدًا ، ويُرِيْدُ أَنْ يَضْرِبَهَا زَيْدٌ ، ومِنَّا زَيْدٌ وذلك لأَنَّهُمْ أرادوا في الوقف – إذا كانت الألف تُمَالُ في هذا النحو – أَنْ يُبَيِّنُوْا في الوقف حيث وصلوا إلى الإمالة ، كما قالوا : أَفْعَىْ في أَفْعَى ، جعلوها في الوقف ياء ، فإذا أمالوا كان أبينَ لها، لأَنَّهُ يَنْحُو نَحْوَ الياء ، فإذا وَصَلَ تَرك ذلك لأَنَّ

---

(١) الكتاب ١٢٣/٤ ت / هارون .

(٢) انظر : الكتاب ١٢٣/٤ ت هارون ، وشرح شافية ابن الحاجب للرضي ٦/٣ .

(٣) انظر : شرح شافية ابن الحاجب للرضيّ ٦/٣ ، ٧ .

الألف في الوصل أَبْيَنُ كما قال أولئك في الوصل : أَفْعَى زَيْدٍ ، وقال هؤلاء: بِيْنِيْ وبَيْنَهَا ، بِيْنِيْ وبَيْنَهَا مَالٌ [١] " اهـ

السبب الثاني : الكسرة بعد الألف

الكسرة بعد الألف تكون سببًا للإمالة ، إذا وليت الألف بشرط أَنْ تكون كسرة لازمة نحو : عَالِمٌ وعَابِدٌ ومَصَابِيْحُ وَهَابِيْلُ ، وقد قيل إِنَّ الكسرة المنفصلة كالمتصلة ، أعنى إذا كانت الألف آخر كلمة والكسرة أول كلمة ، وقد اتصلت الكلمتان نحو : ثُلُثَا دِرْهَمٍ ، فبعضهم يجعل الكسرة من كلمة " دِرْهَمٍ " سببًا للإمالة ويميل ، والظاهر أَنَّهَا أضعف لعدم لزومها الألف ، إذْ كلمتها بصدد أَنْ تُفْصَلَ ، فهى تشبه الكسرة العارضة للإعراب في كلمة الألف نحو : لَقِيْتُهُ عَلَى بَابِهِ ، وأَعْطَانِيْ مِنْ مَالِهِ ، فإنه يجوز لأجل هذه الكسرة العارضة الإمالة ، لكنه أضعف من الإمالة للكسرة اللازمة في نحو : سَالِم ومَاهِر وعَالِم وعَابِد ، ويجوز في نحو : بِبَابِ أَنْ تكون الإمالة للكسرة المتقدمة أو للمتأخرة أو لكلتيهما [٢] .

قال سيبويه : " هذا باب ما تمال فيه الألفاتُ ، فَالأَلِفُ تُمَالُ إذا كان بعدها حَرْفٌ مَكْسُوْرٌ وذلك قولك : عَابِدٌ ، وعَالِمٌ ، ومَسَاجِدُ ، ومَفَاتِيْحُ ، وعُذَافِرُ وَهَابِيْلُ ، وإنما أمالوها للكسرة التى بعدها ، أرادوا أَنْ يُقَرِّبُوْهَا منها [٣] " اهـ .

وقال : " ومِمَّا يُمِيْلُوْنَ ألفه قولهم : مَرَرْتُ بِبَابِهِ ، وأَخَذْتَ مِنْ مَالِهِ ، هذا في موضع الجَرِّ ، وشبهوه بِفَاعِلٍ نحو : كَاتِبٍ وَسَاجِدٍ ، والإِمَالة في هذا

---

(١) الكتاب ١٢٦/٤ ، ١٢٧ ت / هارون .

(٢) انظر : شرح شافية ابن الحاجب للرضيّ ٧/٣ .

(٣) الكتاب ١١٧/٤ ت / هارون .

أضعفُ لأنَّ الكسرة لا تَلْزَمُ [١] " اهـ .

*** *** ***

بعد هذا التمهيد إليك رأي النحاس ثم رأي الكسائي والفراء في بيان الإمالة في قول الله ﷻ : ﴿ قَالوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ثم تعقيب النحاس على رأي الكسائي والفراء فدونك كلام النحاس بحروفه :

قال النحاس : " ﴿ قَالوا إِنَّا لِلَّهِ ﴾ [٢] قال الكسائيُّ : إِنْ شِئْتَ كسرتَ الألف لاستعمالِهَا وكَثْرَتِهَا ، وقال الفراء : وإِنَّمَا كُسِرَتْ النون في (إِنَّا لِلَّهِ) لكثرة استعمالهم إِيَّاهَا ، قال أبو جعفر : أَمَّا قول الفراء فَغَلَطٌ قبيحٌ لأَنَّ النون لا تُكْسَرُ ولا يكون ما قبل الألف أَبَدًا مكسورًا ولا مضمومًا ، وأَمَّا قول الكسائيِّ : فيجوز على أنه يريدُ أَنَّ الألفَ مُمَالَةٌ إلى الكسرة ، وأَمَّا على أَنْ تكسر فمحالٌ ، لأَنَّ الألف لا تُحَرَّكُ البَتَةَ ، وإنما أميلت الألف في (إِنَّا لِلَّهِ) لِكَسْرَةِ اللام في (لِلَّهِ) ولو قُلْتَ : إِنَّا لِزَيْدٍ شَاكِرُوْنَ ، لم يَجُزْ إِمالةُ الألف ، لأَنَّهَا في حرفٍ آخر ، وجاز ذلك في (إِنَّا لِلَّهِ) ، لأَنَّهُ لَمَّا كَثُرَ صار الشَيْئَانِ بِمَنْزِلَةِ شَيْءٍ وَاحِدٍ ، وَإِنْ شِئْتَ فَخَّمْتَ [٣] ، والأصل إِنَنَا حُذِفَتْ إحدى النونين تخفيفًا ، وكذا ﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [٤] " اهـ .

*** *** ***

---

(١) الكتاب ١٢٢/٤ ت / هارون .

(٢) سورة البقرة من الآية رقم ١٥٦ .

(٣) التفخيم ويقال له الفتح عبارة عن فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف وهو فيما بعده ألف أظهر ، والفتح الذى يستعمله أصحاب الفتح من القُرَّاء هو الفتح المتوسط وهو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة ويقال له : التفخيم بمعنى أنه ضِدُّ الإمالة . انظر : النشر فيْ القراءات العشر لابن الجزريّ ٢٩/٢ ، ٣٠ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٣/١ .

ذكر النحاس في بيان الإمالة في الآية الكريمة ثلاثة آراء :

الرأي الأول : يرى النحاس : أنَّ الإمالة في " إِنَّـا لِلَّـهِ وَإِنَّـا إِلَيْـهِ رَاجِعُونَ " جائزة والمراد إمالة فتحة نون (إِنَّا) جهة الكسرة ، فتميل الألف بعدها جهة الياء بسبب وجود كسرة بعد ألف (نَا) على لام الجر في (لِلَّهِ) وعلى همزة إلى في كلمة (إِلَيْهِ) وقد اتصلت الكلمتان ، ولو قلت : إِنَّا لِزَيْدٍ شاكرون ، لم يجز إمالة الألف لأَنَّهَا في حَرْفٍ آخر ، وجاز ذلك في (إِنَّـا لِلَّهِ) ، وكذا (وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) لأَنَّهُ لَمَّا كَثُرَ صار الشَيْئَانِ بِمَنْزِلَةِ شَـيْءٍ وَاحِدٍ ، وَإِنْ شِئْتَ لم تمل الألف بعد النون في " إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ " بل تنطق بالنون مفتوحة فَتْحًا متوسطًا ، ويقال لهذا الفتح التفخيم بمعنى أَنَّهُ ضِدُّ الإمالة [١] .

وأصل إِنَّا : إِنَّنَا ، دخلت إِنَّ – بكسر الهمزة وتشديد النـون – على الضمير المتصل المنصوب مَحَلاً (نَا) وهو للمتكلم المعظم نفسـه أو معـه غيره خاصة فحذفت نون من (إِنَّ) وينبغى أَنْ تكون النون المحذوفة هـى الثانية ، لأَنَّهَا طرف ، ولأَنَّهَا عهد فيها الحذف إذا خففت ، فقالوا : إِنْ زَيْـدٌ لَقَائِمٌ ، والحذف هنا لاجتماع الأمثال ، فلذلك عملت ، إِذْ لو كان من الحـذف لا لهذه العلة لانفصل الضمير وارتفع ولم تعمـل ، لأَنَّهَـا إذا خففـت هـذا التخفيف لم تعمل [٢] في الضمير .

الرأي الثاني : قال الكسائي : " إِنْ شِئْتَ كَسَرْتَ الأَلِـفَ لاسـتعمالها وكثرتها[٣] " اهـ .

---

(١) انظر : إعراب القرآن ٢٧٣/١ .
(٢) انظر : البحر المحيط ٤٥١/١ ، وارتشاف الضرب من لسان العرب لأبـي حيـان الأندلسيّ ١٤٩/٢ ، والبحر المحيط ٢٦٦/٥ .
(٣) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٢٧٣/١

قال النحاس معقبا على قول الكسائيِّ : " أَمَّا قول الكسائيِّ فيجوز على أَنَّهُ يريد أَنَّ الألف ممالة إلى الكسرة وأَمَّا على أَنْ تكسر فمحال ، لأَنَّ الألف لا تحرك البتة [١] " اهـ .

*** *** ***

الظاهر أَنَّ مراد الكسائي : أَنَّ ألف (نَا) في " إِنَّا لِلَّهِ " أميلت جهة الكسرة ، وأَمَّا قوله : إِنَّ الألف كسرت لاستعمالها وكثرتها فخطأ لأَنَّ الألف لا تحرك البتة لأَنَّ الألف بطبيعتها لا تقبل الحركة ، ولا بقاء لها دون فتح ما قبلها ، فوجود الألف مشروط بهذين الشرطين ، أعنى أَنْ تكون الألف ساكنة ، وأَنْ يفتح ما قبلها[٢] .

ويعلل النحاس لسبب إمالة ألف (نَا) في " إِنَّا لِلَّهِ " جهة الياء ، أَنَّ ألف (نَا) وقع بعدها كسرة لام الجر في (لِلَّهِ) وهذا سبب من أسباب الإمالة وهو وجود الكسرة بعد الألف بشرط أَنْ تكون كسرة لازمة نحو : عَالِم وعَابِد ومَاهِر وسَالِم ومَفَاتِيْح وهَابِيْل ، لَكِنَّ كسرة لام الجر في " لِلَّهِ " من كلمة أخرى غير كلمة الألف لَكِنَّ علماء التصريف [٣] قالوا : إِنَّ الكسرة المنفصلة كالمتصلة أعنى إذا كانت الألف آخر كلمة والكسرة أول كلمة أخرى وقد اتصلت الكلمتان نحو : ثُلُثَا دِرْهَمٍ وغُلاَمَا بِشْرٍ فبعضهم يجعلها سببًا للإمالة ويميل ، والظاهر أَنَّهَا أضعف لعدم لزوم الكسرة للألف إِذْ كلمتها بصدد أَنْ تفصل ، لكن على كل حال تجوز إمالة الفتحة قبل الألف نحو

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٣/١ .

(٢) انظر : منجد الطالبين في الإبدال والإعلال للشيخ / أحمد إبراهيم عمارة ص٨٢ طبع المحمدية بالقاهرة الطبعة الرابعة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .

(٣) انظر : شرح شافية ابن الحاجب للرضي ٧/٣ .

الكسرة فتميل الألف حتما جهة الياء لأجل هذه الكسرة العارضة في لام (لِلَّهِ) ودال (دِرْهَمٍ) وباء (بِشْرٍ) لكن الإمالة في هذه الكلمات (ثُلُثَا دِرْهَمٍ ، وغُلاَمَا بِشْرٍ ، وإِنَّا لِلَّهِ) أضعف من الإمالة للكسرة اللازمة في نحو : عَالِم ، وعَابِد ، ومَفَاتِيْح وهَابِيْل ، وقد نص ابن الجزريٌ على أنَّ قتيبة بن مهران حكى عن الكسائيٌ إمالة الألف بعد النون في (إِنَّا لِلَّهِ) لإمالة ألف المَدِّ من (لِلَّهِ) ولم يمل (وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ) لعدم ذلك بعده .

قال ابن الجزريٌ : " الإمالة لأجل الإمالة ... من ذلك إمالة قتيبة عن الكسائيٌ الألف بعد النون من : (إِنَّا لِلَّهِ) لإمالة الألف من (لِلَّهِ) ولم يمل (وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ) لعدم ذلك بعده[1] " اهـ .

فإمالة الألف بعد النون من (إِنَّا) – في قراءة الكسائيٌ – لأنها آخر مجاور ما أميل لمناسبة ما وقع بعدها مِمَّا أميلت ألفه ، لوجود سبب الإمالة معها وذلك الواقع بعدها ألف المَدِّ [2] في (لِلَّهِ) فَإِنَّ ألف المَدِّ في لفظ الجلالة (لِلَّهِ) ممالة فأميلت الألف بعد النون في (إِنَّا) لمناسبتها ، وهذه الإمالة للتناسب لتتسيق الصوت فسبب الإمالة – كما قال ابن الجزريٌ – هو الإمالة لأجل الإمالة .

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزريّ مراجعة أ / على محمد الضباع ٣٤/٢ طبع دار الكتب العلمية ببيروت لبنان .

(٢) ألف المَدِّ في (لِلَّهِ) أميلت لكسر ما قبلها ، وبين الكسرة وألف المَدِّ حرفان أولهما ساكن ، وهما اللام المشددة في (لِلَّهِ) والحرف الساكن كالميت المعدوم فكأنه ليس بين الألف والكسرة حائل وإنْ كانت الكسرة المتقدمة على الألف من كلمة أخرى غير كلمة الألف لكن جازت الإمالة لأنَّ لام الجر في (لِلَّهِ) غير مستقلة ، ولكثرة ذكر لفظ الله على ألسنتهم فصار الشيئان بمنزلة شيء واحد لكثرة الاستعمال .

وهذا سبب آخر من أسباب الإمالة غير السبب الذى ذكره النحاس في بيان رأيه في الإمالة في الآية الكريمة (١) .

الرأى الثالث : قال النحاس : " ... قال الفراء : إِنَّمَا كسرت النون في (إِنَّا لِلَّهِ) لكثرة استعمالهم إِيَّاهَا (٢) " اهـ .

نقل النحاس رأي الفراء في الإمالة في " إِنَّا لِلَّهِ " مختصرًا اختصارًا مخلا بمراد الفراء لذلك يحسن إيراد رأي الفراء من فحوى كلامه وإليك نصه :

قال الفراء : " قوله : (قَالُوْا إِنَّا لِلَّهِ) لم تكسر العرب (إِنَّا) إلاَّ في هذا الموضع مع اللام في التوجُّع خاصة ، فَإذا لم يقولوا (لِلَّهِ) فتحوا فقالوا : إِنَّا لِزَيْدٍ مُحِبُّونَ وإِنَّا لِرَبِّنَا حَامِدُونَ عَابِدُون ، وإنما كسرت في (إِنَّا لِلَّهِ) لأَنَّهَا استعملت فصارت كالحرف الواحد فأشير إلى النون بالكسرة ، لكسرة اللام التى في " لِلَّهِ " كما قالوا : هَالِك ، وكَافِر ، كسرت الكاف من كَافِرٍ لكسرة الألف ، لأنه حرف واحد فصارت " إِنَّا لِلَّهِ " كالحرف الواحد لكثرة استعمالهم إِيَّاهَا، كما قالوا: الحَمْدُ لِلَّهِ(٣) " اهـ .

*** *** ***

تفسير مراد الفراء في النص السابق أَنَّ العرب لم يميلوا فتحة النون من (إِنَّا) نحو الكسرة إِلاَّ في قوله ﷻ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ﴾ فَلَمَّا أَمَالُوْا فتحة النون نحو الكسرة أميلت الألف بعد النون نحو الياء بسبب كسرت اللام الجارة للفظ الجلالة " لِلَّهِ " وهذا في التوجُّعِ خاصة فإذا لم يقولوا : لِلَّهِ ، فتحوا النون ولم

---

(١) انظر : ص ٢٠ ، ٢١ من هذا البحث .

(٢) إعراب القرآن ٢٧٣/١ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٩٤/١ ، ٩٥ .

يميلوا فتحتها نحو الكسرة فقالوا : إِنَّا لِزَيْدٍ مُحِبُّونَ وإِنَّا لِرَبِّنَا حَامِدُونَ عَابِدُون بترك الإمالة ، وإِنَّمَا أميلت فتحة النون نحو الكسرة في " إِنَّا لِلَّـهِ " لكثـرة استعمالها فصارت كالحرف الواحد ، يريد أَنَّ (نَا لِلَّهِ) كالكلمة الواحـدة ، فوقعت الألف في (نَـا) قبـل كسـرة لام الجـر فـي (لِلَّـهِ) متصـلة وهذا سبب من أسباب إمالة الألف ، وهو أَنْ تقع الكسرة بعد الألف بشرط أَنْ تكون الكسرة لازمة ، كما قالوا : هَالِك وكَافِر ، فأميلت فتحـة الهـاء فـي (هَالِكٍ) وفتحة الكاف في (كَافِرٍ) نحو الكسرة فأميلت الألف بعدهما حتما جهة الياء ، وذلك بسبب وجود الكسرة بعد الألف على اللام فـي (هَالِـكٍ) وعلى الفاء في (كَافِرٍ) والكسرة في (إِنَّا لِلَّهِ) منفصلة ، لأَنَّ الألـف فـي (نَا) آخر كلمة ، وكسرة لام الجر من كلمة أخرى غير كلمة الألف (لِلَّهِ) لَكِنَّ قال بعض علماء التصريف : " المنفصل في هذا كالمتصل نحو : ثُلُثَـا دِرْهَمٍ وغُلاَمَا بِشْرٍ[1] " اهـ .

فعاملوا الكسرة المنفصلة في ثُلُثَا دِرْهَمٍ ، وغُلاَمَا بِشْرٍ و (نَـا لِلَّـهِ) معاملة الكسرة المتصلة في هَالِكٍ وكَافِرٍ ، فأمالوا فتحة الثاء في (ثُلُثَا دِرْهَمٍ) وفتحة الميْمِ في (غُلاَمَا بِشْرٍ) وفتحة (نَا) في (نَا لِلَّهِ) نحـو الكسـرة فأميلت الألف بَعْدهُنَّ جهة الياء حَتْمًا ، ومِمَّا يرشح الإمالة في (إِنَّـا لِلَّـهِ) كثرة استعمالهم إِيَّاهَا فصارت الكلمتان كالكلمة الواحدة ، كما قالوا : الحَمْـدِ لِلَّهِ[2] .

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب للرضيّ ٣/٧ .

(٢) سورة الفاتحة من الآية رقم ٢ .

قرأ الحسن البصريَ وزيد بن عليّ : الحَمْدِ لِلَّهِ – بكسر الدال واللام – كسرت الدال من (الحمد) لكسرة اللام في (لِلَّهِ) وهذه قراءة شاذة ، وهى غريبة لأَنَّ فيها إتباع حركة معرب (الحَمْد) لحركة غير إعراب (كسرة الـلام) . انظـر : شـواذ =

لَكِنَّ عبارة الفراء في النص السابق فيها تسامح في التعبير عن الإمالة في قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ فقد قال الفراء : " قوله (قالوا إِنَّا لِلَّهِ) لم تكسر العرب إِنَّا إِلاَّ في هذا الموضع مع اللام في التوجع خاصة ، فإذا لم يقولوا : للَّه فَتَحُوْا [1] " اهـ .

النون في (إِنَّا لِلَّهِ) لم تكسر – كما صَرَّحَ الفراء – لأَنَّ النون لو كسرت لانقلبت الألف بعدها يَاءً لأَنَّ الألف لا يكون ما قبلها إِلاَّ مفتوحًا ، والفراء لم يقصد أَنَّ النون في (إِنَّا لِلَّهِ) كسرت بل مراده بكسر النون في

= ابن خالويه ص٩ والبحر المحيط ١٨/١ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١٩/١، والمحتسب لابن جنى ٣٧/١ ، ٣٨ ، وقد أشار الفراء إلى قراءة الحسن البصريّ وزيد بن عليّ (الحَمْدِ لِلَّهِ) – بكسر الدال و اللام – ولم يصرح بأنها قراءة لذلك لم ينسبها لكنه وجهها فقالَ (معاني القرآن ٣/١) : " اجتمع القراء على رفع (الحَمْدُ) وأَمَّا أهل البَدْوِ فمنهم مَنْ يقول : الحَمْدَ لِلَّهِ ، ومنهم مَنْ يقول : الحَمْدِ لِلَّهِ ... أَمَّا مَنْ خفض الدال من الحَمْدِ فَإِنَّهُ قال : هذه كلمة كثرت على ألسن العرب ، حتى صارت كالاسم الواحد ، فثقل عليهم أَنْ يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضَمَّةٌ بعدها كسرة ، أو كسرة بعدها ضَمَّةٌ ، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل : إِبِلٍ ، فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم " اهـ .

وفي قراءة أهل البادية التى قرأ بها الحسن البصريّ وزيد بن عليّ غرابة لأَنَّ فيها إتباع حركة معرب (الحَمْدُ) لحركة مبنى (اللام) في (لِلَّهِ) وهذه القراءة شاذة قياسًا واستعمالاً إِلاَّ أَنَّ هذا اللفظ (الحَمْدُ لِلَّهِ) كثر في كلامهم وشاع استعماله وهم لِمَا كَثُرَ في استعمالهم أشد تغييرًا كما جاء ذلك عن العرب نحو : لم يَكُ ولا أَدْرِ ولم أُبَلْ فلما اطَّرَدَ هذا ونحوه لكثرة استعماله أتبعوا أحد الصوتين الآخر وشبهوهما بالجزء الواحد وإِنْ كانا جملة من مبتدإ وخبر فصارت (الحَمْدِ لِلَّهِ) كَإِبِلٍ وَإِطِلٍ . انظر : المحتسب لابن جنى ٣٧/١ .

(١) معاني القرآن ٩٤/١ .

الآية إمالة فتحة النون في " إِنَّا " جهة الكسرة ؛ لكسرة لام الجر في (لِلَّهِ) فأميلت الألف بعد النون جهة الياء حَتْمًا بدليل قول الفراء : " فأشير إلى النون بالكسرة لكسرة اللام التى في (لِلَّهِ) [١] " اهـ .

فتسامح الفراء في العبارة كان سَبَبًا في تعقيب النحاس عليه وتنديده به.

فقال النحاس : " قال الفراء : إِنَّمَا كسرت النون في (إِنَّا لِلَّهِ) لكثرة استعمالهم إِيَّاهَا ، قال أبو جعفر : أَمَّا قول الفراء فغلط قبيح لأَنَّ النون لا تكسر ولا يكون ما قبل الألف أبدًا مكسورًا ولا مضمومًا [٢] " اهـ .

وقد سبق الزجاج النحاس في التعقيب على رأي الفراء في الإمالة في قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ﴾ فَسَمَّع بالفراء وشَنَّع عليه بأنه لم يفهم ما قاله علماء العربية في الإمالة فقال : " زعم بعض النحويين أَنَّ النون كسرت ، ولم يفهم ما قاله القوم ، إِنَّمَا الألف ممالة إلى الكسرة [٣] وزعم أَنَّ هذا مثل قولهم : (الحَمْدِ لِلَّهِ) فهذا صواب ، أعنى قولهم: إِنَّا لِلَّهِ ، بالكسر وقولهم :

---

(١) معاني القرآن ١/٩٤ .

(٢) إعراب القرآن ١/ ٢٧٣ .

(٣) قول الزجاج : " إنما الألف ممالة إلى الكسرة ، فيها تسامح لأَنَّ الألف لا تمال إلى الكسرة بل مراده أَنَّ فتحة (نَا) في (إِنَّا لِلَّهِ) أميلت جهة الكسرة فأميلت الألف بعدها جهة الياء ، بسبب كسرة لام الجر في (لِلَّهِ) ، وقد شرح محقق (معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٢٣٣) هذه الجملة نفسها فقال : " المعنى أَنَّ هذا النحويَ فهم من كلام الجمهور أَنَّ الألف في (إِنَّا) تكسر وتُمَالُ واعتبرها شاذة مثل كسرة الدال في الحَمْدِ ، وهو خطأ لأَنَّ الممال هى الألف في لفظ الجلالة " اهـ .

أقول : نبا قلم ذلك المحقق الفاضل لأَنَّ كلام الزجاج والفراء في إمالة ألف (نا) في (إِنَّا لِلَّهِ) أَمَّا إمالة ألف المَدِّ في لفظ الجلالة (لِلَّهِ) فلم يتعرض لها الزجاج ولا الفراء فذاك المحقق نَبَا بِهِ القلم عفا الله عنه .

" الحَمْدِ للَّه " من أعظم الخطأ ، فكيف يكون ما هو صواب بإجماع كَالخَطَأ [١] " اهـ.

فالنحاس في تعقيبه على رأي الفراء تابع لشيخه الزجاج ، لكن النحاس أغفل عن عمد الإشارة إلى تعقيب الزجاج مع أنَّ تعقيب الزجاج أشمل وأوضح من تعقيب النحاس ولا يخلو كلا التعقيبين من تحامل[٢] على الفراء .

وفي نص الفراء الذى سبق [٣] ذكره مأخذان لم ينبه عليهما الزجاج ولا النحاس وإليك عبارة الفراء محل المأخذين بحروفها قال الفراء : " ... كما قالوا : هَالِك وكَافِر ، كسرت الكاف من كافر لكسرة الألف لأَنَّهُ حَرْفٌ وَاحِدٌ [٤] " اهـ .

المأخذ الأول : الكاف من كَافِر لو كسرت – كما قال الفراء – لانقلبت الألف بعدها يَاءً .

المأخذ الثاني : قول الفراء : " كسرت الكاف من كافر لكسرة الألف " فيه نظر : لأَنَّ الألف لا تكسر بل لا تحرك البتة بأَيِّ حركة ، بل لابُدَّ أَنْ تكون ساكنة ؛ فالألف بطبيعتها لا تقبل الحركة ، ولا بقاء لها دون فتح ما

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ت د / عبد الجليل عبده شلبى ٢٣٣/١ طبع عالم الكتب ببيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

(٢) لأنَّ مراد الفراء " بكسر النون " في " إِنَّا لِلَّهِ " إمالة فتحة النون من (إِنَّا) جهة الكسرة ، لكسرة لام الجر في (لِلَّهِ) فأميلت الألف بعد النون جهة الياء حتما بدليل قول الفراء (٩٤/١):" فأشير إلى النون بالكسرة لكسرة اللام التى في (لِلَّهِ) " اهـ.

(٣) في ص ٢٤ من هذا البحث .

(٤) معاني القرآن للفراء ٩٤/١ ، ٩٥ .

قبلها ، فوجود الألف مشروط بهذين الشرطين أي لابد أنْ تكون ساكنة ، وأنْ يفتح ما قبلها [١] .

وأقول : لقد تسامح الفراء في عباراته في النص الذى نقلته عنه [٢] .

لكن مراد الفراء : أنَّ (نَا لِلَّهِ) كالكلمة الواحدة ، فوقعت الألف في (نَا) قبل كسرة لام الجر فى(لِلَّهِ) فأجريت الكسرة المنفصلة مجرى الكسرة اللازمة المتصلة إذْ الألف آخر كلمة (نَا) والكسرة أول كلمة (لِلَّهِ) وقد اتصلت الكلمتان فأميلت فتحة نون (نَا) نحو الكسرة ، فأميلت الألف بعدها جهة الياء حتما بسبب وجود الكسرة على لام الجر في كلمة (لِلَّهِ) كما قال العرب : هَالِك وكَافِر بإمالة فتحة الهاء في (هَالِكٍ) وفتحة الكاف في (كَافِرٍ) نحو الكسرة فأميلت الألف بعد الهاء وبعد الكاف جهة الياء حتما ، بسبب أنَّ الألف فى (هَالِكٍ وكَافِرٍ) جاء بعدها كسرة لازمة وهى كسرة اللام في هَالِك وكسرة الفاء في كَافِر أمَّا كسرة لام الجر فى (لِلَّهِ) فهى غير لازمة ، لأنَّ كلمتها بصدد أنْ تفصل لكنهم جعلوا (نَا لِلَّهِ) كالكلمة الواحدة لكثرة استعمالهم إيَّاهَا،وأيضا فإنه يجوز لأجل هذه الكسرة العارضة الإمالة ، لكنه أضعف من الإمالة للكسرة اللازمة في نحو : هَالِك وكَافِر وعَابِد وعَالِم [٣]

*** *** ***

---

(١) انظر : منجد الطالبين في الإبدال والإعلال للشيخ / أحمد إبراهيم عمارة ص٨٢ .

(٢) راجع نص الفراء في معاني القرآن ٩٤/١ ، ٩٥ .

(٣) انظر : شرح شافية ابن الحاجب للرضي ٧/٣ .

ولِي مأخذ على الفراء والنحاس

- قال الفراء : " لم يكسر العرب (إِنَّا) إلاَّ فى هذا الموضع مع اللام في التوجع خاصة ، فإذا لم يقولوا : (لِلَّهِ) فتحوا فقالوا : إِنَّا لِزَيْدٍ مُحِبُّونَ وإِنَّا لِرَبِّنَا حَامِدُونَ عَابِدُون[١] " اهـ .
- وقال النحاس : " وإنما أميلت الألف في (إِنَّا لِلَّهِ) لِكَسْرَةِ اللام في (لِلَّهِ) ولو قُلْتَ: إِنَّا لِزَيْدٍ شَاكِرُوْنَ ، لم يَجُزْ إِمالةُ الألف، لأَنَّهَا في حرفٍ آخر[٢] " اهـ .

فالفراء والنحاس يريان إمالة فتحة نون (نَا) في (إِنَّا لِلَّهِ) جهة الكسرة فتميل الألف بعدها جهة الياء ، لكسرة لام الجر في (لِلَّهِ) ، فإذا لم يقولوا (لِلَّهِ) فتحوا النون ولم يميلوا فتحتها نحو الكسرة ، فقالوا : إِنَّا لِزَيْدٍ مُحِبُّونَ ، وإِنَّا لِرَبِّنَا حَامِدُونَ عَابِدُون بترك الإمالة .

ولم يجوِّز الفراء والنحاس إمالة فتحة النون في (إِنَّا لِزَيْدٍ مُحِبُّونَ ، وإِنَّا لِرَبِّنَا حَامِدُونَ) نحو الكسرة فتميل الألف بعد النون جهة الياء ، لأَنَّ الكسرة التى تلى (نَا) من كلمة أخرى غير كلمة الألف وهى كلمة (لِزَيْدٍ ، وَ لِرَبِّنَا) لأنه لم يكثر استعمال هاتين الكلمتين كما كثر استعمال (إِنَّا لِلَّهِ) لأَنَّ الكلمتين في (إِنَّا لِلَّهِ) بمنزلة الكلمة الواحدة .

وأقول : في قول الفراء والنحاس نظر عندى ، فقد نص سيبويه على أَنَّ بني تميم وقوم من قيس وأسد مِمَّنْ تُرْتَضَى عربيته يميلون فتحة نون (إِنا) جهة الكسرة فتميل الألف بعد النون جهة الياء بسبب كسرة غير لازمة فى أول كلمة أخرى غير كلمة الألف وقد اتصلت الكلمتان ، وهذه الكلمة

---

(١) معاني القرآن للفراء ٩٤/١ .
(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٣/١ .

الثانية هى كلمة(إلى) في قولهم : وَإِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُوْنَ ، بِإِمَالةِ ألف (إنَّا) جهة الياء في لهجة بني تميم وقوم من قيس وأسد مِمَّنْ تُرْتَضَى عَرَبِيَّتُهُ بسبب كسرة همزة (إلى) وهذه الإمالة مع الحرف (إِلَى) وفى غير التوجع .

لَكِنَّ الفراء قصر إمالة فتحة نون (إنَّا) جهة الكسرة ، فتميل الألف بعدها جهة الياء على موضع واحد فقط ؛ وهو أَنْ يَلِيَ ألف (نَا) لام الجر المكسورة الخافضة للفظ الجلالة ، ويكون هذا في التوجع خَاصَّةً وقد تحقق ذلك في قوله ﷻ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ وما حكاه سيبويه يفند ما زعمه الفراء .

قال سيبويه : " اعلم أَنَّ الذين قالوا رأيت عِدًّا ، الألف ألفُ نصب ، ويريد أَنْ يَضْرِبَهَا ، يقولون : هو مِنَّا ، وَإِنَّا إلى اللهِ راجعون ، وهم بنو تميم ، ويقوله أيضا قَوْمٌ من قيس وأَسَدٍ مِمَّنْ تَرْتَضَى عَرَبِيَّتُهُ فقال : هُوَ مِنَّا وليس منهم وَإِنَّا لَمُخْتَلِفُوْنَ ، فجعلها بمنزلة رأيت[1] عِدًّا " اهـ .

- ويفهم من نص سيبويه أيضا أَنَّ بنى تميم وقوم من قيس وأَسَدٍ مِمَّنْ تُرْتَضَى عَرَبِيَّتُهُ يميلون الفتحة قبل ألف الضمير في (إنَّا) نحو الكسرة فتميل الألف بعدها جهة الياء ، بسبب وجود كسرة قبل الألف وبين الكسرة والألف حرفان أولهما ساكن وهما " النون المشددة " فقالوا : هُوَ مِنَّا وليس منهم وَإِنَّا لَمُخْتَلِفُوْنَ ، فأمال هؤلاء العرب الذين ترتضى عربيتهم فتحة (نَا) مِنْ (مِنَّا) جهة الكسرة فتميل الألف بعدها جهة الياء حتما بسبب وجود كسرة قبل الألف على الميم في (مِنَّا) وعلى الهمزة فى(إِنَا) وليس بين الكسرة والألف سوى حرفين أولهما ساكن وهو النون المشددة – النون الأولى ساكنة والثانية مفتوحة – والحرف الساكن كالميت المعدوم فالفصل به كلا فصل .

---

(١) الكتاب ١٢٥/٤ تِ / هارون

لكنَّ الفراء والنحاس يريان أنك لو قلت : إِنَّا لِزَيْدٍ شاكرون ، وإِنَّا لِرَبِّنَا حَامِدُونَ عَابِدُون لم يجز إمالة فتحة النون في (إِنَّا) جهة الكسرة فتميل الألف بعد النون جهة الياء ، لأنَّ الكسرة التى تلى (نَا) من كلمة أخرى غير كلمة الألف وهى كلمة (لِزَيْدٍ ، ولِرَبِّنَا) .

وما رآه الفراء والنحاس فيه نظر : لأنه يجوز إمالة فتحة (نَا) – في إِنَّا لِزَيْدٍ مُحِبُّونَ ، وإِنَّا لِرَبِّنَا حَامِدُونَ عَابِدُوْن – نحو الكسرة فتميل الألف بعدهما جهة الياء بناء على ما حكاه سيبويه عن بنى تميم وقيس وأسد أنهم يقولون : هو مِنَّا وليس منهم ، وإِنَّا لمختلفون ، بإمالة فتحة (نَا) في (مِنَّا) و(إِنَّا) جهة الكسرة فتميل الألف بعدهما جهة الياء حتما بسبب وجود كسرة قبل الألف على الميم والهمزة وليس بين الكسرة والألف سوى حرفين – النون المشددة – وأول الحرفين ساكن وهو كالميت المعدوم فالفصل به كلا فصل .

فالفراء والنحاس لاحظا الكسرة بعد ألف الضمير (نَا) في " إِنَّا لِلَّهِ " في كونها سببا لإمالة ألف (إِنَّا)

وغفلا عن الكسرة قبل ألف الضمير (نَا) في لهجة بنى تميم وقيس وأسد في كونها سببا لإمالة الألف نحو الياء في قولهم : هو مِنِّا وليس منهم ، وإِنَّا لَمُخْتَلِفُوْنَ .

ولَعَلَّ الفراء والنحاس لَمْ يَطَّلِعَا على هذه اللهجة التى حكاها سيبويه عن تميم وقيس وأسد لذلك منعا الإمالة في " إِنَّا لِزَيْدٍ شاكرون ، وإِنَّا لِرَبِّنَا حَامِدُونَ " .

والله أعلم

المسألة الثانية

إبدال الدال من التاء

في قول الله ﷻ ﴿ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾

يجب إبدال الدال من التاء فى الافتعال وما تفرع منه ، إذا كانت الفاء دَالاً أو ذَالاً أَوْ زَايًا ، وإِنَّمَا وجب إبدال التاء بعد هذه الأحرف لثقل النطق بالتاء بَعْدَهُنَّ ، فالتاء مهموسة ، والأحرف الثلاثة مجهورة ، ومن أجل ذلك لزم الإتيان بحرف يتفق مع التاء في المخرج ويتلاقى في صفة الجهر مع هذه الأحرف ، فوقع اختيارهم على " الدال " لأنها تفي بهذا الغرض .

فإذا أبدلت تاء الافتعال دَالاً وكانت فاء الكلمة دَالاً وجب الإدغام وذلك لاجتماع المثلين مع سكون أولهما نحو : اِدَّانَ بوزن اِفْتَعَل من الدَّيْن ، والأصل : اِدْتَيَنَ ، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت أَلِفًا فصارت : ادْتَانَ ثم أبدلت تاء الافتعال دَالاً للقاعدة التى بين أيدينا ، وأدغمت الدال في الدال فصارت اِدَّانَ ، وكل ما كان من هذا القبيل ليس فيه إِلاَّ هذا الوجه [1] .

- وإذا كانت فاء الكلمة في الافتعال وما تفرع منه زايا جاز فيها وجهان :

أ- إبقاء الدال كما هِيَ بعد إبدالها من التاء نحو : ازْدَهَى وَازْدَانَ من الزهو والزين ، والأصل : اِزْتَهَى وَازْتَيَنَ بزنة اُفْتُعِلَ ، فأبدلت التاء دَالاً ، وأعلت الياء في اِزْتَيَنَ بقلبها أَلِفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها و هذا الوجه هو الأشهر والأكثر .

---

(١) انظر : الكتاب ٤/٥٧٠ ، ٥٧١ ت / هارون ، وشرح الشافية للرضي ٣/٢٢٧ وشرح المفصل لابن يعيش ١٠/١٥٠ .

ب- يجوز أَنْ تبدل الثانى من جنس الأول أى تبدل الدال زايا وتدغم فتقول : اِزَّهَى وَازَّانَ ، ولا يجوز العكس ؛ فلا يصح أَنْ تبدل الأول من جنس الثاني حرصا على صَفِيْرِ الزاي من الضياع .

أَمَّا إذا كانت الفاء ذَالاً فَإِنَّهُ يجوز ثلاثة أوجه :

أولاً : إظهار الدال كَأَنْ تصوغ من الذِكْرِ على وزن اِفْتَعَلَ فتقول : اِذْدَكَرَ بإبدال تاء الافتعال دَالاً .

ثانيًا : إبدال الدال ذَالاً ، ثم إدغام الذال في الذال فتقول في المثال المذكور : اذَّكَرَ بذالين أدغمت إحداهما في الأخرى وهذا الوجه أقلها وقرىء شَاذًا(١) " فَهَلْ مِنْ مُذَّكِرٍ(٢) " .

ثالثًا : قلب الذال دالا ، ثم إدغام الدال في الدال فتقول : ادَّكَرَ (٣) بدال مشددة وهذا الوجه أحسنها ، ومنه قوله ﷻ : ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ(٤) ﴾ وقوله : ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ (٥) ﴾ .

*** *** ***

قال أبو جعفر النحاس في إبدال الدال من تاء الافتعال في قول الله ﷻ : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ (٦) ﴾ قال: " وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ " أي بالذى تأكلونه .

---

(١) قرأ قتادة وابن مسعود وعيسى وعباس عن أبي عمرو " فهلْ مِنْ مُذَّكِر " انظر : شواذ ابن خالويه ص١٤٨ ، ١٤٩ ، والبحر المحيط ١٨٧/٨ .

(٢) سورة القمر من الآيات رقم ١٥ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٥١ .

(٣) انظر: الكتاب ٤٦٩/٤، ٤٧٠ ، وشرح الشافية للرضي ٢٨٧/٣ ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٥٠/١٠ ، واعراب القرآن للنحاس ٣٣١/٢ .

(٤) سورة القمر من الآية رقم ١٥ .

(٥) سورة يوسف من الآية رقم ٤٥ .

(٦) سورة آل عمران من الآية رقم ٤٩ .

ويجوز أَنْ يكون ما والفعل مصدرًا (وَمَا تَدَّخِرُونَ) ، وقرأ مجاهد والزهريُّ وأيوب السختياني (وَمَا تَذْخَرُوْنَ) بالذال المعجمة مُخَفَّفًا ، قال الفراء : أصلها الذال يعنى تَذْخَرُوْنَ مِنْ ذَخَرْتُ ، فالأصل تَذْتَخِرُوْنَ فثقل على اللسان الجمع بين الذال والتاء فأدغموا ، وكرهوا أَنْ تَذْهَبَ التاء في الذال فيذهب معنى الافتعال ، فجاءوا بحرف عَدَل بينهما وهو الدال فقالوا : تَدَّخِرُوْنَ ، قال أبو جعفر : هذا القول غَلَطٌ لأَنَّهُمْ لو أدغموا على ما قال لوجب أَنْ يُدْغِمُوْا الذال في التاء وكذا باب الإدغام أَنْ يُدْغَمَ الأول في الثاني فكيف تَذْهَبُ التَّاءُ ؟ والصواب في هذا مذهب الخليل وسيبويه أَنَّ الذال حرف مجهور يمنع النَفَسَ أَنْ يَجْرِي ، والتاء حرف مهموس يجرى مَعَهُ النَفَسُ ، فأبدلوا من مخرج التاء حَرْفًا مَجْهُوْرًا أشبه الذال في جهرها فصار تَذْدَخِرُوْنَ ، ثُمَّ أُدْغِمَتِ الذَّالُ في الدَّالِ فصار : تَدَّخِرُوْنَ ، قال الخليل وسيبويه : وإِنْ شِئْتَ أدغمت الدال في الذَالِ فقلت : تَذَّخِرُوْنَ ، وليس هذا بالوجه[١] " اهـ .

*** *** ***

ذكر النحاس في هذا النص قراءتين :

الأولى : قرأ مجاهد والزهريّ وأبو أيوب السختياني (وَمَا تَذْخَرُوْنَ) بذال معجمة مُخَفَّفة بزنة تَفْعَلُوْنَ ، وهذه قراءة شاذة [٢] .

الثانية : قرأ الجمهور تَدَّخِرُوْنَ – بدال مهملة [٣] مشددة – وأصلها تَذْتَخِرُوْنَ بزنة تَفْتَعِلُوْنَ من ذَخَرْتُ بمعنى اِخْتَرْتُ وقيل اِتَّخَذْتُ [٤] .

---

(١) إعراب القرآن ٣٧٩/١ ، ٣٨٠ .

(٢) انظر : مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه ص٢٧ .

(٣) انظر : البحر المحيط ٤٦٧/٢ .

(٤) انظر : لسان العرب مادة (ذ خ ر) ١٤٩٠/٢، والقاموس المحيط ٣٤/٢ طبع الحلبي.

وقال الزمخشري : " ذَخَرَ الشيْ واذَّخَرَهُ : خَبَّأَهُ لوقت حاجته[١] " اهـ.

وفي توجيه قراءة الجمهور رأيان :

الرأي الأول : يقول الفراء : " قوله (وَمَا تَدَّخِرُوْنَ) هى تَفْتَعِلُوْنَ مِنْ ذَخَرْتُ ، وتقرأ (وَمَا تَذْخَرُوْنَ) خفيفة على تَفْعَلُوْنَ ، وبعض العرب يقول : تَدَّخِرُوْنَ ، فيجعل الدال والذال يعتقبان في تَفْتَعِلُوْنَ مِنْ ذَخَرْتُ ، وَظَلَمْتُ تقول : مُظَّلِمٌ ومُطَّلِمٌ ومُذَّكِرٌ ومُدَّكِرٌ ... فَأَمَّا الذين يقولون : يَدَّخِرُ ومُدَّكِرُ فإنَّهُم وجدوا (التاء إذا كان قبلها ذال ساكنة [٢]) دخلت التاء في الذال فصارت ذَالاً ، فكرهوا أَنْ تصير التاء ذَالاً فلا يُعْرَفُ الافتعال من ذلك ، فنظروا إلى حرف يكون عَدْلاً بينهما في المقارَبَةِ ، فجعلوه مكان التاء ومكان الذال ، وأَمَّا الذين غَلَّبُوْا الذال فأمضوا القياس ، ولم يلتفتوا إلى أنه حرف واحد فأدغموا تاء الافتعال عند الذال والتاء والطاء ، وَلاَ تُنْكِرَنَّ اختيارهم الحرف بين الحرفين ؛ فقد قالوا : اِزْدَجَرَ ومعناها: ازْتَجَرَ ، فجعلوا الدال عَدْلاً بين التاء والزاي ، ولقد قال بعضهم : مُزَّجِرٌ فَغَلَّبَ الزَّايَ كَمَا غَلَّبَ التاء [٣] ... " اهـ .

*** *** ***

يتلخص رأي الفراء في توجيه قراءة الجمهور " تَدَّخِرُوْنَ " أَنَّ أَصْلَ الفعل تَذْتَخِرُوْن مِنْ ذَخَرْتُ فثقل على اللسان الجمع بين الذال والتاء فأدغموا التاء الثانية في تَذْتَخِرُوْن في الذال فصارت ذَالاً مشددة " تَذَّخِرُوْنَ " فكرهوا أن تصير التاء ذَالاً فلا يعرف معنى الافتعال من ذلك ، فجاءوا بحرف بين

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري ٢٩٥/١ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م .

(٢) العبارة التى بين قوسين في الأصل هكذا " التاء إذا سكنت واستقبلتها ذَالٌ " وهى خطأ لأنَّ يَدَّخر ويدَّكر بزنة يَفْتَعِل ففاء الكلمة ساكنة والتاء مفتوحة .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢١٥/١ ، ٢١٦ .

التاء والذال يكون عَدْلاً بينهما في المقاربة فكان ذلك الحرف الدال – المهملة – فجعلوه مكان التاء ومكان الذال ؛ وشددوا الدالا لأنها مكان حرفين ؛ التاء والذال ، وأمَّا الذين غلبوا الذال فقالوا : تَذَّخِرُوْنَ فأمضوا القياس ولم يلتفتوا إلى أنَّهُ حرف واحد فأدغموا تاء الافتعال في الذال ، وَلاَ تُنْكِرَنَّ اختيارهم الحرف بين الحرفين ، فقد قالوا : اِزْدَجَرَ وأصله : ازْتَجَرَ فجعلوا الدال عدلا بين التاء والزاي ، وقال بعضهم : مُزَّجِرٌ فغلب الزاي .

*** *** ***

وقد عَقَّبَ النحاس على توجيه الفراء فقال : " قال أبو جعفر : هذا القول غَلَطٌ بَيِّنٌ لأَنَّهُمْ لو أدغموا على ما قال لوجب أَنْ يدغموا الذال في التاء وكذا باب الإدغام أَنْ يُدْغَمَ الأول في الثاني فكيف تذهب التاء [1] ؟ " اهـ .

*** *** ***

ملخص تغليط النحاس لتوجيه الفراء أَنَّ أصل تَذَّخِرُوْنَ تَذْتَخِرُوْن فثقل على اللسان الجمع بين الذال والتاء ، فأدغموا التاء في الذال فصارت ذَالاً ، فكرهوا أَنْ تصير التاء ذَالاً فلا يُعْرَفُ معنى الافتعال من ذلك .

فلو أَنَّ العرب أدغموا – على ما قال الفراء – لوجب أَنْ يُدْغِمُوْا الذال في التاء لأَنَّ أصل الإدغام أَنْ يُدْغَمَ الحرف الأول في الثاني فكيف تَذْهَبُ تَاء الافتعال ؟ ولئلا يذهب معنى الافتعال ويضيع بإدغام التاء في الذال فتصير ذَالاً مشددة – على رأي الفراء– جاءوا بحرف مقارب للتاء والذال يكون عَدْلاً بينهما في المقاربة فكان ذلك الحرف المُقَارِبُ الدال ، فجعلوه مكان التاء ومكان الذال .

*** *** ***

---

(١) إعراب القرآن ٣٧٩/١ .

وقد سبق أبو إسحاق الزجاج النحاسَ إلى تغليط توجيه الفراء لهذه القراءة السبعية لكنَّ الزجاج لم يصرح باسم الفراء .

قال الزجاج : " قال بعض النحويين إِنَّمَا اختير تَذَّخِرُوْنَ ؛ لأَنَّ التاء تدغم في الذال نحو : تَذَّكَرُوْنَ (١) ، فكرهوا تَذَّخَرُوْنَ لأنه لا يشبه ذلك ، فطلبوا حرفا بين التاء والذال فكان ذلك الحرف الدال ، وهذا يحتاج صاحبه إلى أَنْ يعرف الحروف المجهورة والمهموسة (٢) " اهـ .

*** *** ***

فَنَّدَ الزجاج رأي الفراء وشَنَّع عليه بأنه كان يلزم الفراء أَنْ يعرف الحروف المجهورة والمهموسة قبل أَنْ يتكلم على إدغام تاء الافتعال في " تَذَّخِرُوْنَ " لأَنَّ الإدغام في " تَذَّخِرُوْنَ " بالدال المهملة المشددة خطوة ثانية سبقتها خطوة أولى وهى إبدال تاء الافتعال دَالاً ، وإِنَّمَا وجب إبدال التاء دَالاً لأنهم كرهوا اجتماع الذال والتاء لاختلاف جنسيهما فالذال في " تَذْتَخِرُوْنَ " حرف مجهور والتاء حرف مهموس وهما متنافيان صفة ، لذلك لزم الإتيان بحرف يتفق مع التاء في المخرج ويتلاقى في صفة الجهر مع الذال ، فوقع اختيارهم على حرف الدال لأنها تفي بهذا الغرض .

فصارت الكلمة " تَذْدَخِرُوْنَ " ويجوز بعد قلب التاء دَالاً قلبان :

أحدهما : أَنْ تقلب الذَّالُ دَالاً وتدغم في الدال التى بعدها فتصيران في اللفظ دَالاً واحدة مشددة ، وهذا شرط الإدغام ، لأنهم يقلبون الحرف الأول إلى جنس الثانى ثم يدغمونه فيه .

---

(١) انظر : الكتاب ٤/٤٧٤ ، ٤٧٥ ت / هارون .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١/٤١٤ .

والوجه الثاني : أنْ تقلب الدال ذَالاً وتدغم فيكون اللفظ به ذَالاً معجمة مشددة فصار اللفظ : تَذَّخِرُوْنَ (١) .

*** *** ***

وأقول : لقد أصاب الزجاج في تعقيبه على رأي الفراء في توجيهه لقراءة الجمهور " تَدَّخِرُوْنَ " لأنَّ رأي الفراء في هذه المسألة ليس بدقيق وإليك الأدلة على قوة تعقيب الزجاج على رأي الفراء :

١- قال الفراء : وأمَّا الذين غلَّبوا الذال فأمضوا القياس ، ولم يلتفتوا إلى أنه حرف واحد فأدغموا تاء الافتعال عند الذال (٢) " اهـ .

في كلام الفراء نظر من أوجه :-

أ- كيف تدغم تاء الافتعال في الذال ، مع أنَّ أصل الإدغام أنْ يُدْغَمَ الحرف الأول (الذال) في الحرف الثاني (التاء) ؟ فقول الفراء مخالف لأصل باب الإدغام .

ب- كيف تدغم تاء الافتعال في الذال وهما حرفان متنافيين صفة ؟ فالذال مجهورة والتاء مهموسة .

ج- أيُّ قياسٍ هذا الذى يزعم الفراء بإدغامه تاء الافتعال في الذال وهما حرفان متنافيان صِفَةً ؟ ولماذا يعكس الفراء أصل باب الإدغام بإدغامه الحرف الثاني في الحرف الأول مع أنَّ أصل الإدغام أنْ يدغم الأول في الثانى ، فما قاله الفراء عكس للقياس ، وليس هو القياس كما زعم .

---

(١) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٠/١٥٠ .
(٢) معاني القرآن ١/٢١٦ .

٢- ثم يقول الفراء : " ... أمَّا الذين يقولون : يَدَّخِرُ ومُدَّكِرُ (فَإِنَّهُمْ وجدوا التاء إذا كان قبلها ذال ساكنة [١]) دخلت التاء في الذال فصارت ذَالاً [٢] " اهـ .

كيف دخلت تاء الافتعال في الذال فصارت ذَالاً مع أنَّ التاء والذال متنافيان صفة؟ فالتاء مهموسة والذال مجهورة ، وقول الفراء : " دخلت التاء في الذال فصارت ذَالاً " مخالف لأصل الإدغام ؛ فأصله أنْ تدغِمَ الحرف الأول في الثانى لا العكس كما يقول الفراء .

٣- لقد تحدث الفراء عن مسألة إدغام التاء في الافتعال وما يتفرع منه إذا كانت الفاء في صيغة الافتعال ذَالاً في موضع آخر من كتابه " معاني القرآن " فقال: " قوله : ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ [٣] ﴾ المعنى : مُذْتَكِرٌ ، وإذا قلت : مُفْتَعِلٌ فيما أوَّله ذَالٌ صارت الذال وتاء الافتعال دَالاً مشددة ، وبعض بنى أَسَدٍ يقولون : مُذَّكِرٌ فيغلبون الذال فتصير ذَالاً مشددة[٤]"اهـ .

* أقول كيف صارت الذال وتاء الافتعال دَالاً مهملة مشددة ؟

هذه الخطوة لابد أنْ تسبقها خطوتان :

الأولى : قلب تاء مُفْتَعِل المهموسة دَالاً لتتلاقى في صفة الجهر مع الذَّالِ .

---

(١) العبارة التى بين قوسين في الأصل المطبوع هكذا : " فَإِنَّهُمْ وجدوا التاء إذا سكنت واستقبلتها ذال " وهى خطأ فتاء الافتعال في يَدَّخِرُ ويَذَّكِرُ ومُدَّكر مفتوحة وفاء الكلمة ساكنة .

(٢) معاني القرآن ٢١٥/١ .

(٣) سورة القمر من الآية رقم ١٥ .

(٤) معاني القرآن ١٠٧/٣ .

الثانية : قلب الذال المعجمة دَالاً مهملة ثم تدغم في الدال التي بعدها فتصيران في اللفظ دَالاً واحدة مشددة مهملة .

* وفي قول الفراء : " بعض بني أسد يقولون : مُذَّكِرٌ فيغلبون الذال فتصير ذَالاً مشددة[١] " اهـ نظر : كيف غَلَبِتِ الذالُ في مُفْتَعِلٍ التَّاءَ فصارت ذَالاً مشددة ؟ .

فأصل مُذَّكِرٌ : مُذْتَكِرٌ قلبت تاء مُفْتَعِلٌ المهموسة دَالاً لتتلاقى في صفة الجهر مع الذال – فاء الكلمة – ثم قلبت الدال ذَالاً وأدغمت في الذال فيكون اللفظ به ذَالاً معجمة مشددة .

٤- تحدث الفراء عن صيغة الافْتِعَالِ وما تفرع منه إذا كانت فاؤه زَايًا نحو : ازْتَجَرَ ومُزْتَجِرٌ .

* فقال : " وَلاَ تُنْكِرَنَّ اختيارهم الحرف بين الحرفين ، فقد قالوا : ازْدَجَرَ ومعناه ازْتَجَرَ ، فجعلوا الدالا عَدْلا بين التاء والزاي ، ولقد قال بعضهم : مُزَّجِرٌ فَغَلَّبَ الزاي[٢] " اهـ .

في هذا النص يشير الفراء إلى أَنَّكَ إذا بَنَيْتَ صِيْغَةَ افْتَعَلَ أو مُفْتَعِلٌ مِمَّا فاؤه زَايًا قلت : ازْدَجَرَ وأصلها : ازْتَجَرَ فثقل على اللسان الجمع بين الزاي والتاء فجاءوا بحرف يكون عدلا بين الحرفين في المقاربة فاختاروا الدال لتكون عَدْلاً بين التاء والزاي وقال بعض العرب مَزَّجِرٌ فغلب الزاي وأصلها مُزْتَجِرٌ .

ولَمَّا أحس الفراء أَنَّ كلامه غير واضح عاد فشرحه بشيء من الإيضاح فقال : " قوله : ﴿ قَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ[٣] ﴾ زُجِرَ بالشتم وَازْدُجِرَ

---

(١) معاني القرآن ١٠٧/٣ .

(٢) معاني القرآن ٢١٦/١ .

(٣) سورة القمر من الآية رقم ٩ .

افْتُعِلَ من زَجَرْتُ ، وإذا كان الحرف أَوَّلُهُ زَايٌ صارتْ تاء الافتعال فيه دَالاً من ذلك : زُجِرَ وَازْدُجِرَ ومُزْدَجَرٌ ومن ذلك المُزْدَلِفُ ويَزْدَادُ هى من الفِعْــلِ يَفْتَعِلُ فَقِسْ عليه مَا وردَ[1] " اهــ .

وأقول : لماذا قلبت تاء الافتعال في ازْتُجِرَ ومُزْتَجِــرٌ ومُزْتَلِــفٌ دَالاً فقالوا : ازْدُجِرَ ومُزْدَجَرٌ ومُزْدَلِفٌ ، للفراء في ذلك قولان :

القول الأول : جاء العرب بالدال لتكون عَدْلاً بين التاء والزاي .

القول الثاني : إذا كان الحرف أَوَّلَهُ زَايٌ صارت تاء الافتعال فيه دَالاً من ذلك : ازْدُجِرَ ومُزْدَجَرٌ ومُزْدَلِفٌ ويَزْدَادُ ، هى من الفِعْلِ يَفْتَعِلُ فَقِسْ عليه ما ورد .

وأقول : ما السبب في صيرورة تاء الافتعال دَالاً ؟ لم يوضح الفــراء السبب .

ثم يقول الفراء : " ولقد قال بعضهم : مُزَّجِرٌ فَغَلَّبَ الزَّايَ[2] " .

وأقول : لِمَ غُلِّبَتِ الزَّايُ على التاء في مُزَّجِرٌ وأصلها : مُزْتَجِرٌ ؟

لم يوضح الفراء سبب هذا التغليب !

وأقول : تاء الافتعال في قولنا : اِزْتَجَرَ ومُزْتَجِرٌ حــرف مهمــوس ، وفاؤه " الزاي " حرف مجهور ، وهما متنافيان صفة ، فثقل علــى اللســانِ النطق بحرف مجهور (الزاي) يليه حرف مهموس (تاء الافتعال) فــدفعًا لهذا الثقل لزم إبدال تاء الافتعال دَالاً ، لأنها من مخرجها وهــى مجهــورة فتوافق بجهرها جهر الزاي[3] فقالوا : ازْدُجِرَ ومُزْدَجَرٌ ومُزْدَلِفٌ ويجــوز أَنْ

---

(١) معاني القرآن ١٠٦/٣ .

(٢) معاني القرآن ٢١٦/١ .

(٣) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٥٠/١٠ .

تبدلَ الدال زايًا وتدغم فتقول : اِزُّجِرَ وَمُزَّجِرٌ وَمُزَّلِفٌ ولا يجوز العكس فلا يصح أنْ تبدل الأول من جنس الثاني حرصا على صفير الزاي من الضياع(١) .

الرأي الثاني في توجيه قراءة الجمهور : [تَذَّخِرُوْنَ] يرى الخليل بن أحمد وسيبويه وجمهور علماء التصريف أَنَّ تَذَّخِرُوْنَ أصلها : تَذْتَخِرُوْنَ فثقل على اللسان الجمع بين الذال والتاء ، لأَنَّ الذال حرف مجهور لا يمكن النَّفَسُ أنْ يجرى معه لشدة اعتماده في مكانه ، والتاء حرف مهموس يجرى معه النَّفَسُ (٢) فَلَمَّا تنافيا صفة كرهوا اجتماعهما لاختلاف جنسيهما ، فأرادوا تجانس الصوت ، فأبدلوا من تاء الافتعال دَالاً ؛ لأَنَّهَا من مخرجها وهى مجهورة فتوافق بجهرها جهر الذال ، فيقع العمل من جهة واحدة فصارت الكلمة يَذْدَخِرُوْنَ بذال معجمة بعدها دال مهملة ، ويجوز بعد قلب التاء دَالاً قلبان :

أحدهما : أَنْ تقلب الذال دالاً وتدغم في الدال بعدها فتصيران في اللفظ دَالاً واحدة مشددة ، وهذا شرط الإدغام ؛ لأنهم يقلبون الحرف الأول إلى جنس الثانى ثم يدغمونه فيه فتصير : يَدَّخِرُوْنَ بدال مهملة شديدة ، وعلى هذا الوجه جاءت قراءة الجمهور : وَمَا تَدَّخِرُوْنَ في بيوتكم " .

ثانيهما : أَنْ تقلب الدال المهملة ذَالاً معجمة وتدغم فيها فتصيران في اللفظ ذَالاً واحدة مشددة معجمة (٣) فتقول : يَذَّخِرُوْنَ .

---

(١) انظر : شرح الشافية للرضيّ ٢٨٦/٣ ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٥٠/١٠ ، ١٥١ .

(٢) انظر : الكتاب ٤٣٤/٤ ت / هارون .

(٣) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٥٠/١٠ .

وصفوة القول أنَّ فاء يفتعلون وَافْتَعَلَ وما تفرع منه إذا كانت ذَالاً وجب إبدال تائه دَالاً وإبقاء الدال كما هى بعد إبدالها من التاء فتقول : يَذْدَخِرُوْنَ ، بإظهار الدال ، ومثل أَنْ تصوغ من الذكر على وزن افْتَعَلَ فتقول اذْدَكَرَ وهذا هو الوجه الأول وهو قليل .

الوجه الثاني : إبدال الحرف الأول من جنس الثاني وإتمام الإدغام فتقول : تَدَّخِرُوْنَ بدال واحدة مشددة وهذا الوجه أحسنها وعليه قراءة جمهور القراء تَدَّخِرُوْنَ ، ومنه قوله ﷻ : ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ(١) ﴾ وقوله ﷻ : ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ (٢) ﴾ .

الوجه الثالث : إبدال الحرف الثاني من جنس الأول وإتمام الإدغام فتقول : تَذَّخِرُوْنَ ، بذال واحدة مشددة وهذا الوجه أقلها وقرىء شاذًا " فَهَلْ منْ مُذَّكر (٣) " .

وقد أجاز سيبويه الوجه الثاني والثالث ومنع الوجه الأول وهو إظهار الدال تَذْدَخِرُوْنَ ، وأجازه أبو عمرو الجرميّ وحكى عنهم اذْدَكَرَ فهو مُذْدَكِرٌ وأنشد لأبي حِكَاكٍ :

تَنْحِيْ عَلَى الشَوْكِ جُرَازًا مِقْضَبًا ∴ والهَرْمَ تُذْرِيْهِ اِذْدِراءً عَجَبَا (٤)

---

(١) سورة القمر من الآيات رقم ١٥ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٥١ .

(٢) سورة يوسف من الآية رقم ٤٥ .

(٣) قرأ قتادة وابن مسعود وعيسى وعباس عن أبي عَمْرُو " مُذَّكِرٌ " بالذال المعجمة وهى قراءة شاذة . انظر : البحر المحيط ١٧٨/٨ ، وشواذ ابن خالويه ص١٤٨ ، ١٤٩.

(٤) يصف الشاعر ناقة والبيت من بحر الرجز ، اللغة : تَنْحِي : أي تقبل على الشيء ، جُرَازٌ كَغُرَابٍ : السيف القاطع ، مِقْضَبًا : كمنبر السيف القاطع والمنجل ، يريد أسنانها وأنيابها ، الهَرْم : بتسكين الراء ضرب من الحَمْضِ فيه مُلُوْحَةٌ وَهُوَ أَذَلُّهُ وأَشَدُّهُ انْبِسَاطًا على الأرض واسْتِبْطَاحًا، وقيل: هو البَقْلَةُ الحمقاء وقيل : هو شَجَرٌ .=

يريد : اذْتِرَاءً وهو " اِفْتِعَالٌ " من ذَرَتْهُ الرِيْحُ تَذْرُوْهُ وهو مصدر جرى على غير فعله على حَدِّ قول الله ﷻ : ﴿ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً (١) ﴾ .

فقلب التاء دَالاً للتقريب ، ولم يدغم لأَنَّهُ لا يلزم أَنْ يكون قبل التاء ذَالٌ نحو قولهم : استلم وابتسم ، فأشبهت " اقتتلوا " في البيان وهو قليل (٢) .

ومنع سيبويه اذْدَكَرَ وأوجب الإدغام .

قال سيبويه : " تُبْدِلُ للذال من مكانِ التاء أشبه الحروف بها ، لأنهما إذا كانتا في حرف واحد لزم أَنْ لا يُبَيَّنَا إِذْ كَانَا يُدْغَمَانِ منفصلين فكرهوا هذا الإجحاف ، وليكون الإدغام في حرف مثله في الجهر وذلك قولك : مُدَّكِرٌ ، كقولك : مُطَّلِمٌ ، ومَنْ قال مُظَّعِنٌ قال مُذَّكِرٌ .

= انظر : لسان العرب مادة(هـ ر م) ٤٦٥٧/٦ تذريِهِ – بضم التاء الفوقية – من أذرى أي أطارته وأذهبته . والمعنى : تقبل هذه الناقة على الشوك بأسنان وأنياب كالسيف القاطع فتقضمه وتقبل على البقلة الحمقاء فتفتتها وتطيرها في الهواء هَبَاءً . والشاهد : قوله : " اِذَدِرَاءً " وأصلها اِذْتِرَاءً ، فقلبت تاء الافتعال مع الذال دَالاً من غير إِدْغَامٍ . انظر : الشاهد في : الممتنع في التصريف لابن عصفور ت د/ فخر الدين قباوة ٣٥٨/١ نشر دار الآفاق الجديدة ببيروت الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، وسر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني ت د/ حسن هنداوي ١٨٧/١ طبع دار القلم بدمشق الطبعة الثانية ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م ، ومنهج السالك للأشمونى وحاشية الصبان عليه ٣٣٢/٤ طبع الحلبي ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٥٠/١٠ .

(١) سورة آل عمران من الآية رقم ٣٧ .

(٢) انظر : المنصف شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري ت أ / إبراهيم مصطفى و د / عبد الله أمين ٣٣١/٢ طبع دار إحياء التراث القديم الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م .

وقد سمعناهم يقولون ذلك ، والأخرى في القرآن في قوله:﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ[١] ﴾ وإِنَّمَا منعهم من أَنْ يقولوا مُذْدَكِرٌ كما قالوا مُزْدَانٌ أَنَّ كُلَّ واحد منهما يدغم في صاحبه في الانفصال ، فلم يجز في الحرف الواحد إلاَّ الإدغام ، والزاي لا تدغم فيها على حَالٍ فلم يُشَبِّهُوْهَا [٢] بها " .

(١) سورة القمر من الآيات رقم ١٥ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٥١ والقراءة بالدال المهملة هى قراءة الجمهور وقرأ قتادة وابن مسعود وعيسى وعباس عن أبى عمرو مُذَّكِرٌ بالذال المعجمة . انظر : البحر المحيط ١٧٨/٨ ، وشواذ ابن خالويه ص ١٤٨، ١٤٩ .

(٢) الكتاب ٤٦٩/٤ ، ٤٧٠ ت / هارون .

المسألة الثالثة

جَوَّزَ الفراء إدغام الياء فى الياء فى مضارع حَيَّ فى قول الله تعالى : ﴿ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾ وكذا في مضارع أَحْيَا

في قول الله تعالى : ﴿ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾ (١) قراءتان سبعيتان .

القراءة الأولى : قرأ أبو عمر وبن العلاء وابن عامر وحمزة والكسائيُّ وحفص عن عاصم وابن كثير في رواية قنبل عنه : حَيَّ – بياء واحدة مشددة مفتوحة .

القراءة الثانية : قرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب والبزي عن ابن كثير وأبو بكر عن عاصم : حَيِيَ – بياء بين ظاهرتين الأولى مكسورة والثانية مفتوحة (٢) .

وهما لهجتان في كل ما آخره ياءان من الفعل الماضى أولاهما

---

(١) سورة الأنفال من الآية رقم ٤٢ .

(٢) انظر : السبعة فى القراءات لابن مجاهد ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ تح د / شوقى ضيف طبع دار المعارف الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبيْ محمد مكيْ بن أبيْ طالب ٤٩٢/١ تح د / محيي الدين رمضان طبع مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م ، والنشر فى القراءات العشر لابن الجزريّ ٢٧٦/٢ ، والمهذب فى القراءات العشر د / محمد سالم محيسن ٢٦٨/١ ، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ٨٠/٢ .

مكسورة نحو : عَيَّ وحَيَّ (١) .

قال أبو جعفر النحاس في توجيه القراءتين : " ﴿ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَـــةٍ ﴾ هذه قراءة أبى عمرو وابن كثير وحمزة ، وهى اختيار سيبويه وأبي عبيد ، فَأَمَّا احتجاج أبي عبيد فإنَّهُ في السواد بياء واحدة ، قال أبـــو جعفـــر : هـــذا الاحتجاج لا يلزم لأَنَّ مثل هذا الحذف في السواد ، ولكنَّ اجتماع النحـــويين الحُذَّاقِ في هذا أَنَّه لَمَّا اجتمع حرفان على لفظ واحد كان الأولى الإدغـــام ، كما يقال : جَفَّ ، وقرأ نافع وعاصم : (مَنْ حَيِىَ عَنْ بَيِّنَةٍ) والحجة لهمـــا أنه لا يجوز الإدغام في المستقبل فَأَتبْعَوا (الماضي المستقبل) (٢) وقد أجاز الفراء الإدغام في المستقبل وأَنْ يُدَغِمَ (يَحَيُّ) (٣) وهذا عند جميع البصريين من الخطأ الكبير ومثله لا يجوز في شعر ولا كلام والعلة في منعه أنـــك إذَا قُلْتَ : يُحْيِيْ فالياء الثانية ساكنة فلم يجتمع حرفان متحركان فيدغم ، وقد كان الاختيار لم يَجْفِفْ ، وإِنْ كان يجوز لم يَجِـــفَّ ، ولـــم يَجَـــفَّ (٤) فيجـــوز

---

(١) الفعلان عَيَّ وحَيَّ لفيف مقرون عينه ولامه ياءان وهما من باب علم . انظر : دراســـات لأسلوب القرآن الكريم د / محمد عبد الخالق عضيمة القســـم الثـــانى ٢/٤٠٠ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ طبع حسان بالقاهرة .

(٢) العبارة في الأصل (المستقبل الماضي) وهيّ سبق قلم لأنَّ الذين قرؤوا بالفك فـــي (حَيِيَ) حجتهم أنه لا يجوز الإدغام في مضارع هذا الفعل فحمل الماضي على المضارع في ترك الإدغام .

(٣) الكلمة في الأصل (يَحَيَّيَّ) وهى خطأ وصوابها(يَحَيُّ) أو(يُحِيُّ) لأنَّ الفراء جَوَّز إدغـــام الياء فى الياء فى مضارع حَيَّ ومضارع أَحْيَا وقد خطأه النحاس فى إدغام اليـــاءين فـــى هذين المضارعين.

(٤) جَفَّ الثوبُ من باب ضرب ، وفى لغة لبنى أسد من باب تَعِبَ جَفَافًا وجُفُوفًا يَبِسَ . انظر المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى للعلامة أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومىّ ١/٥٤ طبع الخيرية بمصر سنة ١٣١٠هـــ .

الإدغام ، فَأَمَّا فى يُحْيِىْ فلا يجوز ، وأيضاً فَإِنَّ الياء تحذف فى الجزم ، فهذا مخالف لِيَجِفَّ ، ولا يجوز أيضاً الإدغام فى ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ (١) لأَنَّ الحركة عارضة " (٢) أهـ .

*** *** ***

ذكر النحاس فى النص السابق قراءتين سبعيتين فى قول الله تعالى : ﴿ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾ ونسب القراءتين بإيجاز ، ثم وجه القراءتين ثم فَنَّد رأي الفراء فى تجويزه الإدغام فى مضارع حَيِيَ وحَيَّ وهو يَحَيُّ ، وكذا لا يجوز الإدغام فى مضارع أَحْيَا بزنة أَفْعَلَ وهو يُحِيُّ .

قال النحاس فى قراءة أبي عمر وابن كثير وحمزة والكسائيّ وابن عامر (حَيَّ) بياء واحدة مشددة ، وهى اختيار سيبويه (٣) وأبى عبيد واحتج أبو عبيد لهذه القراءة (حَيَّ) بياء واحدة مشددة أنها وقعت كذلك في المصحف فالقُرَّاء الذين قرؤوا (حَيَّ) بياء واحدة مشددة اتبعوا رسم المصحف لكن النحاس لم يرض هذا التوجيه من أبى عبيد لهذه القراءة ، لأَنَّ

---

(١) سورة القيامة الآية رقم ٤٠ .

(٢) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ١٨٨/٢ ، ١٨٩ .

(٣) قال سيبويه (الكتاب ٣٩٥/٤ – ٣٩٧ تح / هارون) : " ... قولك قَدْ حَيَّ في هذا المكان وقَدْ عَيَّ بأمره ، وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : قَدْ حَيِيَ في هذا المكان وقد عَيِيَ بأمره ، والإدغام أكثر ، والأخرى عربيَّةٌ كثيرة ، وسنبين هذا النحو إِنْ شاء الله ، ومثل ذلك لقد أُحِيَّ البَلَدُ ، فَإِنَّما وقع التضعيف لأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ خَشِيَ أو رُمِيَ كانت الفتحة لا تفارق ، وصارت هذه الأحرف على الأصل بمنزلة طُرِدَ وأُطْرِدَ وحُمِدَ ، فَلَمَّا ضَاعَفْتَ صارت بمنزلة مُدَّ وأُمِدَّ وَوَدَّ قال الله عَزَّ وجَلَّ ﴿ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾ ... وقال ناس كثير من العرب : قَدْ حَيِيَ الرَّجُلُ وَحَيِيَتِ المرأَةُ ، فَبَيَّنَ ولم يجعلوها بمنزلة المضاعف من غير الياء ، وأخبرنا بهذه اللغة يونس " أهـ .

إجماع النحويين الحُذَّاقِ لهذه القراءة أنه لَمَّا اجتمع حرفان على لفظ واحد كان الأولى الإدغام كما يقال جَفَّ .

وقد وجه بعض النحاة غير النحاس هذه القراءة بتوجيهات أُخَرَ وإليك طرفاً منها :

(أ) مَنْ قرأ بإدغام (حَيَّ) فَلأَنَّ حركة المثلين فيه لازمة ؛ مـا دامـت لـه صيغة المُضِيِّ (١) .

(ب) مَنْ أَدْغم (حَيَّ) نظر إلى أنهما مثلان في كلمة وحركة ثانيهما لازمة وَحَقٌّ ذلك الإدغام (٢) .

(ج) قُرِءَ (حَيَّ) بالإدغام للفرق بين ما تلزم لامه حركة كالماضي ومـا لا تلزم لامه حركة كالمستقبل (٣) .

(د) مَنْ قرأ بإدغام (حَيَّ) فللفرق بين ما تلزم لامه حركة لازمة كالماضي وبين ما تلزم لامه حركة تنتقل كالمستقبل في قوله تعالى : ﴿ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ (٤) فهذا لا يجوز إدغامه ، فأدغم الماضي لاجتماع المثلـين وحسن الإدغام للزوم الحركة لامه (٥) .

---

(١) انظر : شرح الكافية الشافية لابن مالك تح د / عبد المنعم أحمـد هريـدى ٢١٨٤/٣ طبع دار المأمون للتراث الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

(٢) انظر : منهج السالك إلى ألفية ابن مالك للأشمونيّ ٣٤٩/٤ طبع الحلبي بدون تاريخ .

(٣) انظر : البيان في غريب إعراب القرآن لأبى البركات الأنبارى تح د / طه عبد الحميد طه مراجعة أ / مصطفى السقا ٣٨٨/١ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

(٤) سورة الأحقاف من الآية رقم ٣٣ وسورة القيامة من الآية رقم ٤٠ .

(٥) انظر : مشكل إعراب القرآن لأبى محمد مكي بن أبي طالب القيسيّ تح د/حاتم صالح الضامن ٣١٦/١ طبع مؤسسة الرسالة ببيروت الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.